العلامة الأديب

عبد الرحمن سلام

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

(١٢٨٥هـ = ١٨٦٨م - ١٣٦٠هـ = ١٩٤١م)

تأليف

إياد خالد الطبّاع

العلامة الأديب
عبد الرحمن سلام

صفحة بيضاء

رقم 4

المحتوى

■ **مقدّمة** ٧

الباب الأول
في ترجمته

الحياة الثقافيّة في بيروت: عصر عبد الرحمن سلام ١٣
النسب و العائلة ٢٢
نشأته وتلقيه العلم ٣٥
الشيخ عبد الرحمن سلام والجهاد ضد المستعمرين ٤٠
الشيخ عبد الرحمن سلام المدرّس والمربّي ٤٢
الشيخ عبد الرحمن سلام الشاعر ٤٦
عبد الرحمن سلام الصحافي ٥٩
الشيخ عبد الرحمن سلام الخطيب ٦٢
الشيخ عبد الرحمن سلام في بيروت (١٩٠٠-١٩١٦) ٦٧
الشيخ عبد الرحمن سلام في فلسطين ٦٩
الشيخ عبد الرحمن سلام في دمشق (١٩١١-١٩١٤) ٧٣
الشيخ عبد الرحمن سلام في حمص (١٩١٤-١٩١٦) ٧٥
الشيخ عبد الرحمن سلام في دمشق (١٩١٨- ١٩٢٥) ٧٧
الشيخ عبد الرحمن سلام بعد عودته إلى بيروت (١٣٤٤هـ= ١٩٢٥م) ٩٠

أخباره ١١٠
وفاته ١١٦

الباب الثاني
في آثاره
مؤلفاته-مقالاته-محاضراته

مؤلفاته ١١٩
مقالاته ١٢٥
محاضراته ١٣١

■ **المصادر والمراجع** ١٣٣

مقدّمة

عبد الرحمن سلام، شخصيّة مميّزة، تميّزت بعلمها، وعملها، وحركتها، شخصية تثير التساؤل، ذلك أنّها تبعث الحياة أينما مكثت، تثير الجدل حيثما حلّت، تجعل نفسها مدار حدَث أينما كانت، وتترك بصمتها العلميّة والعمليّة في الموقع الذي فيه.

تؤثّر فيمن حولها، فتترك آثاراً: طلبة علم، وجهر حقّ، ومدوّنات، وأشعاراً، وتربية، وتعليم.

دخل عبد الرحمن سلام فلسطين فعمل في قضاء قلقيلية، ودرّس في المدرسة الصلاحيّة في القدس، وكان ماكان؛ خاف منه السلطان واقتيد منها مكبّلاً، مشياً على الأقدام، قافلاً إلى دمشق!!

ودخل دمشق فكان من أبرع أساتذتها، وأقوى خطبائها، وأعلمهم بالكتب؛ فعمل ورّاقاً، ومميّزاً (مديراً) لأوقاف سورية، وشارك في تأسيس النادي العربي بدمشق، ودرّس في مكتب عنبر، ودار المعلّمين، وانتُخب عضواً في المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، ونائبًا لرئيس مؤتمر علماء سورية ولبنان في دمشق، وذلك في المؤتمر الإسلامي الذي عقده الملك عبد العزيز آل سعود.

ودرّس في حمص فخرّج كوكبة من أعلام حمص وأدبائها.

إنّه رجلٌ دونه الرجال. .علَمٌ في كلّ بلد؛ أثّر في كلٍّ منها تأثيراً بالغاً.

وعاد إلى بيروت فكان معلّماً، وناشطاً اجتماعيّاً، وفقيهاً مشاركاً، وصحافيّاً؛ فعمل رئيساً للكتّاب في المحكمة الشرعية في بيروت، ودرّس في مدارس المقاصد الإسلاميّة، وفي الكلّية الشرعية في بيروت (أزهر لبنان)، والكلّيّة العثمانيّة الإسلاميّة، وشارك في تأسيس جمعية البرّ والإحسان، والمجمع العلميّ اللبنانيّ، وأميناً لفتوى الجمهورية اللبنانية، وفي الصحافة: أسّس مجلة القلم العريض، ومجلّة روضة المعارف، وانتُخب في اللجنة الصحفية.

فكان بذلك عالماً، وأديباً، وناثراً، ومؤلّفاً، وكاتباً، وخطيباً، ومجاهداً، وسياسيّاً، وشاعراً، وصحافيّاً.

وزهد في المناصب؛ فعندما شغر منصب الإفتاء في لبنان سنة **١٣٥١**هـ/ **١٩٣٢**م بوفاة الشيخ مصطفى نجا رحمه الله، اتّجهت الأنظار إليه ليخلف المفتي الراحل إلا أنّه اعتذر عن عدم الموافقة.

إنّ القارئ لسيرة الشيخ عبد الرحمن سلام، ليتملّكه العجب من سيرة ممزوجة بالقضاء، والتربية، والتعليم، والاجتماع، والإبداع، والفقه، والأدب، والوِراقة، والإحسان، والعصاميّة، هذه السّيرة التي طوّفت بلاد الشام، من بيروت إلى القدس، إلى قلقيلية، إلى دمشق، إلى حمص، وتركت في الأماكن كلّها، بصمات واضحة؛ فتاريخه تاريخ علميّ تربوي ثقافيّ وطنيّ؛ حرّك فيه النُّخب الثقافية في هذه المدن؛ بل القيادة السياسية العثمانيّة، رغم قصر المدّة التي جالس فيها كلّ بلد ومصر، ولم يدخل بلداً إلا كان فيه علَماً مبرّزاً.

لقد اتّبعتُ في الترجمة المنهج التاريخيّ الوصفيّ، مع العناية بالتوثيق، والإكثار -ما استطعتُ- من مصادر الترجمة، مع تفصيل وِراقيّ للمراجع في

الهوامش، ورغم أنّ المصادر قد تكون ناقلة عن بعضها، إلا أنّي وجدتُها طريقة مُثلى في تعزيز المعلومة وتأصيلها، ولاسيّما في كتابة ترجمة علمنا هذا، إذ ضنّت المصادر بترجمة رحبة له، فكان عليّ لزامًا أن أجمع شتيت أخباره، وأُنسّقها في وحدة موضوعيّة واحدة.

ولم أُفوّت الإفادة من مواقع الشّابكة في تعزيز معلومات عن المترجم، فقد وجدتُ فيها بيانات عن وقائع وأخبار يعزّ وجودها في المصادر الشحيحة التي أفادتنا عن المترجم وحياته وعصره.

وسيجد القارئ تراجم في حواشي الكتاب دوّنتُها لإعطاء القارئ معلومات عن أناس قد يكون التاريخ غمرهم، أو لم تسعفه المصادر القريبة بذكرهم.

لقد قسّمتُ الكتاب إلى بابين: ضمّ الأوّل ترجمته مبيّنًا فيه: الحياة الثقافيّة في بيروت: عصر عبد الرحمن سلام، ونسبه وعائلته، ووفاته، وأخلاقه وشخصيّته، وجهاده ضدّ المستعمرين، ثمّ كتبتُ عنه، مدرّسًا، ومربّيًا، وشاعرًا، وصحافيًّا، وخطيبًا.

وتناولتُ في دراسة حياته المنهج التاريخيّ، فسطرتُ عن حياة المترجم في بيروت (١٩٠٠-١٩١٦): وتولّيه رئاسة الكتّاب في المحكمة الشرعية في بيروت (١٩٠٠)، وتأسيسه المدرسة العلمية.

ثمّ عرضتُ حياته في فلسطين، التي تنقّل بينها وبيروت، وذلك: من حيث عمله في قضاء قلقيلية (١٨٩٦-١٩٠٠)م، وتأسيس جمعية السلام لتعليم فقراء الأيتام (١٩١٠)م، وتدريسه في المدرسة الصلاحيّة في القدس: (١٩١٦-١٩١٨)م.

ووصفتُ انتقاله إلى دمشق (١٩١١-١٩١٤)، وعمله بالوِراقة، ثمّ تعيينه أستاذاً للأدب العربي في حمص (١٩١٤-١٩١٦)، ثمّ قفوله إلى دمشق

والعيش فيها (١٩١٨- ١٩٢٥)، ومشاركته في تأسيس النادي العربي، وتدريسه في مكتب عنبر ومدرسة التجهيز ودار المعلمين (١٩١٩- ١٩٢٥)، وعضويّته ونشاطه في المجمع العلميّ العربيّ بدمشق (١٩٢١- ١٩٤١)، وتعيينه مميّزًا (مديراً) للأوقاف السوريّة.

وسطرتُ بعد ذلك عن عودته إلى بيروت (١٣٤٤هـ= ١٩٢٥م)، وعضويّته في المؤتمر الإسلامي الذي عُقد في عام ١٩٢٦م، وتدريسه في الكليّة العُثمانيّة الإسلاميّة، وتسلّمه مهام أمانة الفتوى فيها، وعضويّته في المجمع العلميّ اللبنانيّ، وتأسيس جمعية البر والإحسان عام ١٩٣٦، ومشاركته في مؤتمر العلماء الأول المنعقد بدمشق في العام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

وختمت الباب الأول بفقرة عن (أخباره) التي عثرتُ عليها في ثنايا الكتب والدوريّات رأيتُ من الإفادة جمعها وإدراجها.

وخصّصت الباب الثاني للحديث عن آثاره: مؤلفاته، ومقالاته، ومحاضراته.

أرجو أن يكون هذا الكتاب مفتاحًا لدراسة أوسع، وبحثٍ أرحب، عن علَم غمر نفسه قبل أن يغمره التاريخ، وما دفعه إلى ذلك إلا زهده وحبّه أن يكون جنديًّا من جنود العربيّة، غير أنّ التاريخ أبى أن يؤرّخ له إلا فارسًا من فرسانها، وعلَمًا من أعلامها.

إياد خالد الطبّاع

الباب
الأول

في ترجمته

صفحة بيضاء
رقم 12

الحياة الثقافيّة في بيروت
عصر عبد الرحمن سلام

يمثّل العهد العثماني الذي نشأ فيه عبد الرحمن سلام الأساس العلميّ والثقافيّ والفكريّ لمكوّنات شخصيّته المميّزة. ذلك أنّه نشطت في بيروت حركة علميّة وثقافيّة وأدبيّة متنوعة ولا سيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وامتدّت إلى بداية القرن العشرين، علماً أن الجذور الثقافيّة قد وجدت قبل ذلك بقرون عديدة؛ فقد شهدت بيروت بعد انتصار المسلمين على البيزنطيين في موقعة اليرموك عام١٥للهجرة/ ٦٣٦م[١]، مجيء الكثير من العلماء المسلمين الذين تفاعلوا مع علماء النصارى في المسائل العلمية والفلسفية والدينية. ومن الوافدين إلى بيروت في تلك الآونة المبكرة: أبو الدرداء، وبشير بن سعد، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وآمر بيروت ووواليها الفقيه أيوب بن خالد الجهني الخزاعيّ الذي تتلمذ على الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام ردحاً طويلاً، وقد ارتبط اسم بيروت ولا يزال باسم

(١) معركة اليرموك، كانت سنة(١٥هـ - ٦٣٦ م) بين العرب المسلمين والإمبراطورية البيزنطية، يعدّها بعض المؤرخين من أهم المعارك في تاريخ العالم لأنها كانت بداية أول موجة انتصارات للمسلمين خارج جزيرة العرب، وآذنت لتقدم الإسلام السريع في بلاد الشام. وقد حدثت المعركة بعد وفاة الرسول ﷺ بأربع سنوات.

الإمام الأوزاعي إمام بيروت وبلاد الشام والمغرب والأندلس، وهو الذي عُرف عنه أنّه أفتى في سبعين ألف مسألة.

كما ازداد عدد العلماء المسلمين والنصارى في بيروت في العهدين الأموي والعباسي، وبرزت مدارس الفقه والعلم في العهود الفاطمية والأيوبية والمملوكية، وانتشرت الزوايا والكتاتيب، وازداد عدد المخطوطات والمؤلفات العلمية في العهد العثماني.

وبدأ التنافس العلمي في بيروت وبقية المناطق يأخذ طابع التفاعل والتكامل، حتى إنّ علماء المسلمين لم يجدوا مانعاً من أن يفردوا مكاناً خاصاً داخل بيروت العثمانية قرب جامع النوفرة (جامع الأمير منذر) للمعلم الشاعر إلياس إدّه، ليبحثوا معه في الأمور العلمية والفقهية. ولم يجد النصارى مانعاً من أن يتتلمذ أبناؤهم على علماء المسلمين، فمن المعروف أن الشيخ بشارة الخوري (١٨٠٥ - ١٨٨٦) كان تلميذاً من تلامذة مفتي بيروت وقاضيها الشيخ أحمد أفندي الأغر (١٧٨٣-١٨٥٨)، كما تتلمذ على الشيخ يونس البزري والشيخ محمد عرابي.

ويُمكن القول أنّه من الخطأ الاعتقاد بأن بيروت العُثمانيّة كانت تفتقر إلى حياة ثقافيّة وأدبيّة وعلميّة، أوكانت تحيا حياة الركود والانحطاط العلمي. بل الثابت أنّ مدينة بيروت تميزت بملامح ثقافيّة عديدة، تمثلت بمعاهد، وكليات، ومدارس، وجمعيات، وصحافة، ومؤلفات، ومطبوعات، وأساتذة، وأطباء، ومهنيين. كما شهدت بيروت يقظة سياسيّة، كانت تهدف إلى إصلاحات سياسيّة في الدولة العُثمانيّة.

وفيما خصّ التعليم والمدارس؛ أصدرت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، بعض التنظيمات التي تتعلق بوجوه التعليم وإنشاء المدارس. ففي عام

١٨٥٣ أنشأت مكتباً خاصاً لوضع المناهج والكتب المدرسية التي كانت تحتاج إليها المدارس والمعاهد.

وفي النظام الأساسي العثماني الصادر عام ١٨٧٦، جعلت الدولة العثمانية التعليم الابتدائي إجبارياً على كل فرد من أفراد العثمانيين. وانعكس أثر هذا النظام على بيروت وجبل لبنان والولايات العثمانية، وشجّع ذلك على إقامة مزيد من المدارس والمعاهد من العثمانيين والرعايا المحليين والمؤسسات الإرسالية الأجنبية.

وكانت اليقظة العلمية في بيروت العثمانية قد بدأت بالتفتّح، بظهور مدارس عديدة نذكر منها على سبيل المثال: المدرسة البطريركية الكاثوليكية التي أنشأها البطريرك غريغوريوس يوسف في منطقة زقاق البلاط عام ١٨٦٥، وكانت منافسة لمدرستي الحكمة والثلاثة أقمار، ثم المدرسة الوطنية التي أسّسها بطرس البستاني عام ١٨٦٢ في منطقة زقاق البلاط أيضاً، ومدرسة الثلاثة أقمار للروم الأرثوذكس التي انتقلت من سوق الغرب إلى بيروت عام ١٨٦٦، ومدارس راهبات مار يوسف، ومدارس الفرير التي أنشأت عام ١٨٩٧، ومدرسة الحكمة لمؤسسها المطران يوسف الدبس بين عامي ١٨٧٤-١٨٧٥، ومدرسة العميان التي أنشأتها الآنسة طومسون في بيروت لتعليم العميان قراءة التوراة، ومدرسة زهرة الإحسان التي أسستها السيدة إيميلي سرسق للبنات الأرثوذكس عام ١٨٨٠.

ومن المدارس المهمة في بيروت التي أحدثت نقلة نوعية في حياة المسلمين والبيروتيين، مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية التي تأسست عام ١٨٧٨م - غرة شعبان ١٢٩٥هـ، ثم المدرسة الإسلامية الحديثة، ومدرسة الإمام الأوزاعي، ومدرسة الشيخ عبد الباسط الأنسي، والمدرسة الرشدية، ومدرسة زاوية الشهداء، ومدرسة النوفرة، ومدرسة الشيخ علي

الملا، ومدرسة الشيخ محمد المجذوب، والمدرسة السورية الإسلامية لمؤسسها الشيخ سليم محمد المغربل، والمدرسة القادرية لمؤسسها الشيخ عمر البربير، والمدرسة الوطنية، ومدرسة الإخلاص، والمدرسة الحميدية الأهلية، والمدرسة الأدبية لمؤسّسها الشيخ مصباح شبقلو، والمدرسة السلطانية التي أشرف على بنائها الشيخ عبد القادر قباني، ومدرسة لجنة التعليم، ودار العلوم، والمكتب العسكري الحكومي، والمكتب الإعدادي، وكلية الحقوق التي تأسست عام **١٩١٣**، ثم نُقلت إلى دمشق بعد إعلان الحرب العالمية الأولى عام **١٩١٤**.

ومن المدارس البيروتية أيضاً: مدرسة سكزنجي نمونه، أي المدرسة الابتدائية النموذجية الثامنة التابعة للمكتب السلطاني[١]، ومدرسة الشيخ يوسف الحلواني في رأس بيروت، ومدرسة (كلية) الصنائع والتجارة الحميدي، ومدرسة المعارف، والمدرسة التوفيقية لمؤسسها الشيخ محمد توفيق خالد، **والمدرسة العلمية لمؤسسها الشيخ عبد الرحمن سلام**، ومدرسة الشيخ أحمد عبّاس الأزهريّ المعروفة باسم الكلية العثمانيّة ثم الكلية الإسلاميّة، وهي التي أحدثت تغييراً أساسياً في بنية المجتمع التربوي في بيروت ولبنان والعالم العربي. وكانت الدولة العثمانية تنوي إنشاء كلية للطب في بيروت لولا وجود مثلها في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت، لذا رأت أنّ دمشق في حاجة إليها أكثر من بيروت.

ووجدت أيضاً مدارس عديدة وطنية وأجنبية غير التي أشرنا إليها. وكانت لغات التدريس في مدارس بيروت وجبل لبنان والمناطق هي: العربية، والتركية، والفرنسية، والإنكليزية، والإيطالية، والألمانية وسواها.

(١) موقعها اليوم ثانوية المقاصد للبنات في الباشورة.

وقد وصف عبد الرحمن سامي بك في كتابه «القول الحق في بيروت ودمشق» المدارس القائمة في بيروت العثمانية، قائلاً: «وقد صارت المدارس الداخلية في بيروت أشهر من نار على علم، كلّها تقبل التلامذة بأجور قليلة، وتعلّم التلاميذ وتعتني بصحّتهم وسلامتهم، ومنها من ترسل مندوباً من قبلها كلّ سنة إلى البلاد المجاورة لأخذ تلامذة إليها».

وقد بلغ اهتمام المسلمين في بيروت بالعلم والعلماء وطلاب العلم أن خصّصوا أوقافاً خيرية خاصة، تتضمّن أملاكاً وأراضي عديدة يعود ريعها وخيراتها على العلم والعلماء، ولتنفق في وجوه التحصيل العلمي مثل: وقف العلماء، ووقف طلاب العلم، ووقف المكتبات، وسواها. وتكفي الإشارة إلى أنّ «وقف العلماء» الذي أنشأه والي بيروت نصوحي بك ومفتي بيروت الشيخ عبد الباسط الفاخوري، يعدّ اليوم من أغنى الأوقاف الإسلامية على الإطلاق.

ونظراً إلى اهتمام الدولة العثمانية بالعلم، فقد حرصت على تشكيل مجلس معارف لولاية بيروت لتنظيم الأوضاع العلمية والتربوية والتعليمية في الولاية. وقد ضمّ هذا المجلس: الشيخ إبراهيم الأحدب، وحسن بيهم، والشيخ أحمد عبّاس الأزهري، وعبد الله بيضون، والدكتور أديب قدورة، ويوسف عرمان، وخليل سركيس، وإبراهيم اليازجي، وسليم الجلخ، وبيجو أفندي.

لقد شهدت بيروت العثمانية ولادة الكثير من العلماء والمفتين والقضاة والفقهاء، ونجد من علماء بيروت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، عصر عبد الرحمن سلام، على سبيل المثال لا الحصر أسماء مفتين، وقضاة، وفقهاء، وأطباء، تركوا بصمات واضحة في حضارة بيروت؛ نذكر من علماء الدّين: أحمد الأغر، والشيخ عمر البربير، وأحمد البربير،

والشيخ محمود البربير، والشيخ محمد البربير، علماً أنّ أسرة البربير اشتهرت بأنّ بين أفرادها أكثر من أربعين عالماً، وعبد الباسط فاخوري، وعبد اللطيف فتح الله، ومحمد الحلواني، ومحيي الدين اليافي، ومصطفى نجا، وإبراهيم الأحدب، ومحمد سعيد أياس، وأحمد عباس الأزهري، ويوسف الأسير، وعبد الباسط الأنسي، وأحمد بدران، وحسين بيهم، ومحمد جميل بيهم، ومحمد رمضان، وحسين الحبال، وعبد الرحمن الحوت، ومحمد الحوت، وعبد الله خالد، ومحمد رشيد الدنا، وأحمد طبارة، وعبد الغني العريسي، ومصطفى الغلاييني، وعبد القادر قباني، ومحمد الكستي، وإبراهيم المجذوب، ومحمد المجذوب، وأحمد المحمصاني، وحسن المدور، وعبد الكريم أبو النصر اليافي، ومحيي الدين الخياط، وسليم البابا، ومحمد علي الأنسي، ومحمد توفيق الهبري، ويوسف علايا، ونجله المفتي محمد علايا، وأحمد مختار العلايلي، وشقيقه العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، وعبد القادر النحاس، وقاسم الكستي، ومحمد سوبرة، وأحمد علي عساف، ومحمد توفيق خالد، وسواهم الكثير مما لا يتسع المجال لذكرهم.

ولابد من الإشارة إلى أنّ عهد الانفتاح التي شهدته بيروت العثمانية في القرن التاسع عشر، أدّى إلى ولادة بعض الجامعات والمعاهد الأجنبية، ولاسيما منها الكلية السورية الإنجيلية التي عرفت باسم الجامعة الأميركية (تأسّست عام ١٨٦٦)، وجامعة القديس يوسف التي عرفت باسم الجامعة اليسوعية (تأسست عام ١٨٧٥)، والمدرسة الإنجيلية البريطانية في بيروت (تأسست عام ١٨٦٠)، والمدرسة الملكية الإيطالية في بيروت (تأسست عام ١٨٧٩)، كما شهدت بيروت الكثير من المؤسسات التربوية الأجنبية، مثل مدارس الليسيه، والفرير، ومدارس ألمانية وبريطانية وأميركية وفرنسية عديدة ساهمت في نشر التربية والتعليم على النمط الأوروبي.

ومما يُلاحظ أنّ الدولة العثمانية لم تستطع بواسطة مدارسها وكتاتيبها ومعاهدها مواجهة هذه الجامعات والمدارس الأجنبية، لذلك اضطرت بعض جمعيات المجتمع الأهلي في بيروت مثل جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، والكلّية العثمانية التي أسسها الشيخ أحمد عباس الأزهري، وبعض المدارس الأخرى، إلى وضع ما يلزم من إجراءات لمواجهة المؤسسات الأجنبية ومنافستها.

ولقد **باشرت بعض الجمعيات الإسلاميّة** ما بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بتأسيس عدد كبير من المدارس إلى جانب المدارس والمكاتب العُثمانيّة الموجودة في بيروت. ومن بين هذه المدارس: مدارس جمعيّة المقاصد الإسلاميّة، والمدرسة الإسلاميّة الحديثة، ومدرسة الشيخ عبد الباسط الأنسي، والمدرسة الرشيديّة، المدرسة العُثمانيّة، ثم الإسلاميّة لمؤسسها الشيخ أحمد عباس الأزهري، والمدرسة السوريّة الإسلاميّة لمؤسسها الشيخ سليم محَمّد المغربل، **والمدرسة العلميّة لمؤسسها الشيخ عبد الرحمن سلام**، وسوى ذلك من مدارس علميّة متعددة.

وكانت الدولة العُثمانيّة تنوي إنشاء كليّة طب في بيروت، غير أن وجود مثل هذه الكليّة في الكليّة السوريّة الإنجيليّة، أدى إلى نقل المشروع إلى دمشق التي كانت تفتقر إلى مثل هذه الكليّة. علماً أن الحكومة العُثمانيّة أسست في العام **١٩١٣**م في بيروت معهد الحقوق، ثم ما لبثت أن نقلته إلى دمشق أثناء الحرب العالميّة الأولى.

وإضافة إلى المؤسّسات التعليميّة نشطت الصحافة في بيروت؛ فتمّ إنشاء عدد كبير من **الصحف والمجلات البيروتيّة**؛ منها على سبيل المثال: حديقة الأخبار، لخليل جبرائيل الخوري عام **١٨٥٨**م، وهي تُعدّ أول صحيفة بيروتيّة، ونفير سورية، لمؤسسها بطرس البستاني عام **١٨٦٠**م، وثمرات

الفنون، لمؤسسها الشيخ عبد القادر القبّاني عام ١٨٧٥م، والمشرق، للأب لويس شيخو عام ١٨٩٨م، والنبراس، لمؤسسها الشيخ مصطفى الغلاييني عام ١٩٠٩م، والمفيد، لمؤسسها عبد الغني العريسي عام ١٩٠٩م،والحقيقة، لمؤسّسها الشيخ أحمد عباس الأزهري عام ١٩٠٩م، والرأي العام، لمؤسسها طه المدّور عام ١٩١٠م، والرشيد، لمؤسّسها الشيخ صالح المدهون اليافي عام ١٩١٠م، و**القلم العريض، لمؤسّسها الشيخ عبد الرحمن سلام عام ١٩١١م**. وسواها من صحف ومجلات ودوريات صدرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وهناك العديد من الدوريات البيروتيّة الصادرة في العهد العُثماني توقّف منها البعض عن الصدور عام ١٩٠٨م، وبعضها توقّف بسبب نشوب الحرب العالميّة الأولى. ومن يطّلع على إحصاء الصحف والمجلات والدوريات يدرك استمرار بيروت ولبنان نقطة أساسيّة في الثقافة والأدب والعلم والسياسة. وقد ارتبطت الدوريات والصحف سواء الصادرة في العهد العُثماني أو عهود الانتداب والاستقلال بحركة طباعة نشطة وبوجود مطابع متطورة، فضلاً عن طباعة الكتاب بأنواعه جميعها سواء الصادرة في لبنان أو المطبوع للدول العربيّة.

إضافة لحركة النشر في بيروت العُثمانيّة، انتشرت فيها **الجمعيات العلميّة والاجتماعيّة والأدبيّة ومنها**: الجمعيّة العلميّة السوريّة وهي أول جمعيّة تأسست في بيروت عام ١٨٥٨م، وقد توقف نشاطها عام ١٨٦٠م بسبب الحرب الأهليّة في جبل لبنان. ثم باشرت نشاطها عام ١٨٦٨م، وقد انضم إليها ١٨٠ عضواً من مختلف الطوائف. ومن المعروف عن هذه الجمعيّة أنّها ساهمت في الحياة السياسيّة البيروتيّة، وقد وزعت مناشير في بيروت بين العامين ١٨٨٠-١٨٨١م، تدعو فيها إلى الوطن السوري الموحد، انتهت المناشير بأبيات إبراهيم اليازجي الشعريّة القائلة:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

ومن الجمعيات العلميّة والثقافيّة والاجتماعيّة في بيروت: جمعيّة زهرة الإحسان، وجمعيّة المقاصد الخيريّة الإسلامية، وجمعيّة ثمرة الإحسان الإسلاميّة، التي كان يرأسها الشيخ مصطفى نجا عام ١٨٩٩م، وسواها من الجمعيات.

ومن الأهميّة القول أنّه لا تزال بيوت البيروتيين ومكتباتهم تزخر إلى اليوم بكثير من آثار علماء بيروت في القرن العشرين؛ متمثّلة بمئات المخطوطات وأمّهات الكتب والمؤلّفات العلمية والأدبية والتاريخية والفقهية والدينية، وإنّ الكثير من هذه المخطوطات لم تنشر إلى الآن، لذا لا بد من الاهتمام بها لإخراجها وتحقيقها مقدّمة لطبعها وإصدارها في حلّة قشيبة. فلقد طمست بعض الدراسات اللبنانيّة والعربيّة رواد الحركة الثقافيّة في بيروت ولبنان عامّة، ولم تُسلّط الأضواء عليهم ولا على نتاجهم الفكري، وهو من باب ظلم المؤرّخين لأبناء جلدتهم.

إن هذه النماذج الثقافيّة تؤكد على أنّ بيروت شهدت في العهد العُثماني حركة ثقافيّة وعلميّة أكثر ممّا يُظنّ، وقد أثبتت من خلال تلك الحركة النضوج والتطور العلمي والثقافي والاجتماعي[١]، ويبقى القول إنّ هذا التنوع الثقافي والتربوي والعلمي في بيروت كان له الفضل ليس في إيجاد التنوع فحسب، وإنما في هذا الانفتاح الحضاري والعلمي، وفي النهضة الثقافية التي أفرزت ألوف العلماء من مختلف الطوائف والمناطق[٢].

(١) نقلاً عن موقع: يابيروت، وموقع: ضفاف.

(٢) نهضة علم وعلماء واسعة عرفتها بيروت في العهد العثماني معاهد وجامعات وتفاعل الكثر من علماء المسلمين والنصارى، مقال حسان حلاق، الحوار: يومية سياسية: آذار، ٢٠١٢.

النسب و العائلة

تمهيد

بدأ التكوّن التاريخي للبنان منذ أكثر من خمسة آلاف عام، ولا سيما منذ الهجرات العربية السامية في الألف الثالث قبل الميلاد من شبه الجزيرة العربية. وقد حمل العرب معهم عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وأسماء مدنهم. كما تعرضت المناطق اللبنانية للعديد من موجات الدول والإمبراطوريات والشعوب منها: الفراعنة، والأشوريون، والسومريون، والكلدانيون، واليونان، والرومان، والبيزنطيون، والأمويون، والعباسيون، والفاطميون، والأيوبيون، والمماليك، والعثمانيون، وأخيراً الانتداب الفرنسي. غير أنّ العصور الوسطى شهدت ولمدة مئتي عام الاحتلال الصليبي أو جيوش الإفرنج.

ومن الأهمية بمكان القول إنّ القرون الخمسة الأخيرة، ولا سيّما في العهد العثماني، شهد لبنان موجات من الهجرة السكانية من المناطق والمدن والبلدات السورية، وفلسطين، والأردن، والعراق، ومصر، وبلدان المغرب العربي، فضلاً عن بلدان عثمانية غير عربية مثل: ألبانيا، وقبرص، وأوربة الشرقية، وتركية وسواها من مناطق وبلدان.

وعبر العصور التاريخية، ولا سيما منذ الفتوحات العربية والإسلامية في بلاد الشام، ومن بينها المناطق اللبنانية، بدأت الخيارات الدينية واعتناق المعتقد الديني تنتشر وتتنوّع بين العائلات اللبنانية الواحدة، إذ إنّ الكثير من هذه العائلات توزّع معتقدها بين المسيحية والإسلام، في حين أنّ اليهودية ظلّت خياراً محصوراً ضمن اليهود أنفسهم لأسباب دينية وتاريخية وعقدية، لهذا ندرك بأنّ اليهود استمروا أقلية في لبنان، بل في جميع الدول العربية والاسلامية.

ومما زاد في تشعب وتنوّع المعتقد الديني، وخاصة المذهبيّ، تنوّع المذاهب داخل الطائفة الواحدة، بل في إطار العائلة اللبنانية الواحدة[١].

آل سلام:

آل سلام من العائلات المعروفة والمشهورة في بيروت بل في لبنان والوطن العربي، وهم فروع: منهم أجداد آل سلام (فرع الرئيس صائب سلام)، وفرع أسرة سلام المسيحيّة الأصل، وهي أسرة أسلمت وحَسُن إسلامها، فقد اعتنق جدّها الأول الإسلام وهوجرجس الصفدي الكاثوليكي الزحلاوي الإسلام في العهد العثماني. وكان أبرز رجالها نجله العلامة الشيخ عبد الرحمن سلام، وحفيده الموسيقار محيي الدين سلام، وحفيدته المطربة السيّدة نجاح سلام، وخرج من ذرّيته علماء وأعلام، وهناك فرع آخر شهدت بيروت الكثير من أعلامها سمّوا (سلام العقاد) وهي عائلة مصرية الأصل. كما عُرفت أسرة سلام المسيحية من وطي سلام من كسروان.

وفي الوطن العربي عُرفت أسرة (سلام العطار) الدمشقية الأصل. و(سلام يافاوي) الفلسطينية الأصل، و(سلام المصري)، و(سلام العدوي)[٢].

(١) عائلة لبنانية واحدة بطوائف متعدّدة، د. حسان حلاق، بحث في الشابكة.
(٢) عائلة لبنانية واحدة بطوائف متعدّدة، د. حسان حلاق، بحث في الشابكة.

قال الدكتور حسان حلاق فيها: «من الأسر الإسلامية البيروتية واللبنانية والعربية، تعود بجذورها وبفروعها المتعددة إلى القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، والتي أسهمت في فتوحات بلاد الشام ومصر والمغرب العربي والأندلس، وبعض فروع آل سلام ينسب إلى عشائر وقبائل لحج والكرك والقحطانية وبطون طيء وهمدان وقضاعة وسواها».[١]

برز من آل سلام في العهد العثماني الكثير من رجال الأعمال والعلماء والتجار، كما عرف في التاريخ الحديث والمعاصر شخصيات مرموقة من فروع آل سلام[٢] في الأدب، والفن، والحياة الاجتماعية والسياسية، وعالم الأعمال.

(١) انظر: د. بيروت في العهد العثماني، حسان حلاق، ص، الدار الجامعية - بيروت ١٩٨١.

(٢) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

المصدر: أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء اللبنانية، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢، الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

ومما يلاحظ بأنّ أجداد آل سلام (فرع الرئيس صائب سلام) توطنوا في بيروت منذ مئات السنين ولا سيما في منطقة المصيطبة، كما تملكوا أراضي في منطقة رأس بيروت ومناطق بيروتية عديدة. ومن خلال تتبع وثائق سجلات المحكمة الشرعية في بيروت في القرن التاسع عشر، نجد بعض ملامح شجرة العائلة الكريمة، ولاسيما من ولد وعاش في العهد العثماني، وذلك على النحو التالي:

تشير وثائق سجلات المحكمة الشرعية في بيروت في القرن التاسع عشر إلى محمد سلام البيروتي العثماني، وإلى نجله عبد الجليل، وإلى حفيده علي سلام أحد الوجوه التجارية في بيروت. كما أشارت وثيقة في السجل ١٢٨٣-١٢٨٤هـ، ١٨٦٦-١٨٦٧م إلى أن السيد علي بن الحاج عبد الجليل سلام قد قام بشراء أرض في سهل البركة في مزرعة رأس بيروت[١].

وتشير سجلات المحكمة الشرعية في بيروت إلى أنّ السيد علي بن عبد الجليل بن محمد سلام البيروتي العثماني كان يقطن في منطقة المصيطبة في القرن التاسع عشر، وقد توزعت تركته على ورثته بعد وفاته فقد أشارت وثائق سجلات المحكمة الشرعية في بيروت عام ١٣٠٢هـ-١٨٨٤م إلى وفاته

(١) للمزيد من التفاصيل انظر: علماؤنا، كامل الداعوق، ص ١٥٨-١٦٠، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، طه الولي، ص ٣٠٩-٣١٠، مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨-١٩٣٨، حسان حلاق، ص ١٨٢-١٨٣، عالم من بيروت الشيخ عبد الرحمن سلام،، بهاء الدين سلام، دار البشائر الإسلامية، بيروت ٢٠٠٥.

وإقامة أوصياء على القاصرين على النحو التالي[١]: «في مجلس الشرع الشريف بمدينة بيروت بعد أن توفي السيد علي بن السيد عبد الجليل سلام، ولم يقم وصياً مختاراً على أولاده: عبد الجليل، ومحمد كامل، ومحمد مصباح، وخديجة وعاتكة وسارة القاصرين عن درجتي البلوغ والرشد، وقد احتاج الأمر لنصب وصي شرعي عليهم، فقد أقام ونصب من يملك نصب الأوصياء سيدنا ومولانا الحاكم الشرعي الموما إليه بخطه وختمه أعلاه وصياً على القاصرين المذكورين أمهم فاطمة بنت السيد محيي الدين شاتيلا، وضم معها ناظراً عليهم الحاج زين أفندي ابن الشيخ عبد الله سلام بمعنى أنه شريك معها بالوصاية، وأذنهما بتعاطي جميع مصالح القاصرين المذكورين ولوازمهم الضرورية التي لا بد منها ولا غنى عنها بما فيه الأنفعية والأصلحية لجهتهم، فقبل ذلك الحاج زين أفندي المذكور بالأصالة عن نفسه والنيابة عن فاطمة المذكورة قبولاً شرعياً عن الإخبار عن لياقتهما وصلاحيتهما لما ذكر من الحاج إبراهيم أفندي ابن السيد محمد طبارة والحاج عبد الغني بن السيد محمد الزاهد والسيد أمين بن السيد علي الجمال، وبالطلب تحرر ما هو الواقع في تاسع شوال من سنة اثنتين وثلاثمئة وألف.

ولا بد من التأكيد أيضاً، بأنّ فرع أسرة سلام المسيحية الأصل، قد حَسُن إسلامها، لأنّ جدّها الأول اعتنق الإسلام عن قناعة وإيمان، بل إن أبناء وأحفاد هذا الفرع شهد ولادة علماء في الدين الإسلامي أسهموا إسهامات إسلامية ودينية وعلمية على غاية من الأهمية. وفي هذا الصدد ندوّن تاريخ بعض أعلام وعلماء آل سلام منهم:

العلّامة الشيخ عبد الرحمن سلام، والشيخ عبد الحفيظ سلام[٢]،

(١) قاموس الصحافة اللبنانية ١٨٥٨-١٩٧٤، يوسف أسعد داغر، ص ٣٦٥.

(٢) الشيخ عبد الحفيظ سلام: هو أحد علماء بيروت البارزين، تبوأ مراكز علمية ودينية =

والإعلامي عبد الغني سلام[١]، والإعلامي صلاح سلام[٢]، ونواف سلام[٣]، ونجاح سلام[٤]، والإعلامي محمد سلام[٥]، والمصرفي محمد خضر سلام[٦]، والشيخ بهاء الدين سلام[٧].

= عديدة منها قاضي الشرع الشريف في بيروت، كما درّس في مدارس بيروت، له خطب ومؤلفات مخطوطة.

(١) الإعلامي عبد الغني سلام: مواليد بيروت عام ١٩٤٢، درس في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، تابع دراسته الجامعية في العلوم السياسية. عمل وكتب في عدة صحف إلى أن أعاد إصدار صحيفة اللواء، تولى الأستاذ عبد الغني سلام مناصب نقابية واجتماعية، انظر: يوسف أسعد داغر: قاموس الصحافة اللبنانية ١٨٥٨-١٩٧٤، ص ٢٣٦.

(٢) الإعلامي صلاح سلام: مواليد بيروت، درس في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، ونال ليسانس في العلوم السياسية والاقتصادية من الجامعة اللبنانية، وتابع دراسات عليا في الحضارة الاسلامية، واهتم بالصحافة منذ دراسته الثانوية، فالتحق في عدة صحف لبنانية، إلى أن تولى مسؤولية صحيفة «اللواء» فأصبح رئيس تحريرها. تولى مناصب نقابية واجتماعية وخيرية وثقافية.

(٣) نواف بن عبد الله سلام: أستاذ جامعي ورجل قانون وديبلوماسي لبناني يشغل منصب سفير ومندوب لبنان الدائم في الأمم لمتحدة في نيويورك، ولد في ١٥ كانون الأول ١٩٥٣.

(٤) نجاح سلام: ولدت في بيروت ١٣ آذار ١٩٣١، جدّها العلامة الشيخ عبد الرحمن سلام، ووالدها الأديب المفنّ محيي الدين سلام، وعلى يديه تعلمت أصول الغناء.

(٥) الإعلامي محمد سلام: هو أحد الإعلاميين البارزين في بيروت، له كتابات ومقالات ومحاضرات عامة عديدة، كتب وعمل في الصحافة وفي ميادين إعلامية عديدة في لبنان والخارج.

(٦) المصرفي محمد خضر سلام: هو أحد المصرفيين البارزين في بيروت ولبنان. تدرج في ميدان الأعمال المالية والمصرفية، ونظراً لنجاحاته وتفوقه واستثماراته الناجحة في هذا الميدان أصبح مدير فرع بنك بيبلوس في الحمرا ببيروت.

(٧) الشيخ بهاء الدين سلام: هو بهاء الدين بن عبد الرحمن بن محيي الدين بن الشيخ عبد الرحمن سلام، من مواليد بيروت عام ١٩٧٥، من العلماء الشباب، عاش في القاهرة، وتأثّر بعلمائها الكبار، نال الإجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة =

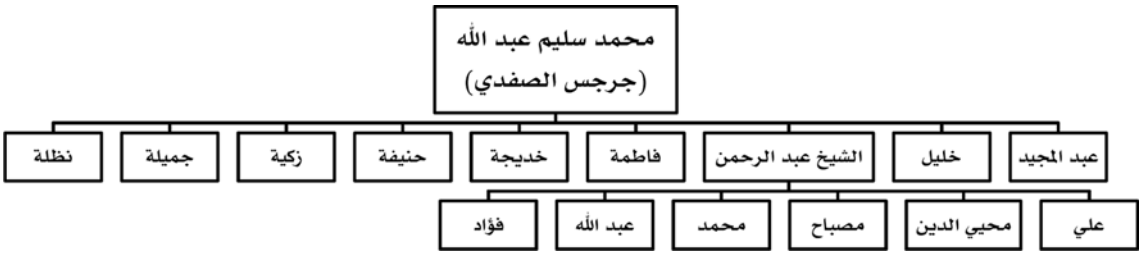

فرع الشيخ عبد الرحمن سلام

وهناك فرع آخر شهدت بيروت الكثير من أعلامها سمّوا (**سلام العقاد**)[١]، غير أن غالبية أفرادها حذفت لقب العقاد.

و عرفت بيروت أيضاً **أسرة سلّام الفلسطينية**[٢]، وقد حذف بعض أفرادها

= بيروت العربية. ثمّ تابع دراسة الماجستير في الدراسات الإسلامية في المعهد العالي للدراسات الإسلامية التابع لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية. عمل إماماً وخطيباً في بعض مساجد بيروت. يعدّ من الكتاب الصحفيين البارزين في نقد آفات المجتمع من خلال مقالاته اللافتة والمؤثرة في صحيفة «اللواء». قام بإعداد الكثير من البرامج الإذاعية الإسلامية والبرامج التلفزيونية، له عدد من المؤلّفات. انظر نبذة عن حياته في كتابه: عالم من بيروت الشيخ عبد الرحمن سلام ١٨٧١-١٩٤١ (غلاف الكتاب).

(١) عرف من هذا الفرع الكثير من آل سلام منهم: المرحوم حسن محمد عقاد سلام وأنجاله السادة: الدكتور نزيه، الدكتور وليد، والدكتور طلال، والمهندس محمد جمال حسن سلام صاحب ورئيس مجلس إدارة مصانع قناة السويس في بور سعيد في مصر، والمهندس بلال حسن سلام المتوفى في المملكة العربية السعودية في ١٩ آب ٢٠٠٨.

(٢) عرف من الأسرة السيد محسن سلام وأنجاله السادة: المهندس هشام، المهندس علي، المهندسة إنعام، المهندسة هيام سلام. كما عرف من هذه الأسرة الشاعر فرحان سلام المعروف باسم شاعر الخليج الحائز على وسام التقدير من الرئيس صائب سلام، وعرف من أولاده السادة: الطبيب الدكتور تاج الدين سلام، والأستاذ الجامعي الدكتور محمد أمين سلام.

الشدة عن اللام فأصبحت سَلَام[١].

وسلام لغة واصطلاحاً: تأتي بمعنى السلم والطمأنينة والاستقرار وهي ضد الحرب، كما أنها تأتي صفة من صفات الله عز وجل الذي هو «القدوس السلام». وقد ورد لفظ «سلام» و«السلم» كثيراً في القرآن الكريم.

ولادته:

ولد المترجم في بيروت، ونشأ نشأة إسلامية[٢] صالحة في كنف والده ووالدته وأخواله آل سلام، وقد اختلفت الأقوال في تعيين ولادته وذلك لعدم التدقيق في هذا الموضوع آنذاك فمنهم من جعل ولادته سنة ١٢٨٤هـ =١٨٦٧م، ومنهم من جعلها سنة ١٢٨٨هـ =١٨٧١م[٣]، والقول الثاني هو الراجح لدى الكثير من الباحثين[٤].

والذي أقطع به أنّه وُلد سنة ١٢٨٥هـ، إذ ورد في أحد المصادر نظمه لقصيدة بعنوان «أبو الرّكب وأمّ الغرائب» ضمّن عنوانها تاريخ ولادته، و«أمّ الغرائب» بحساب الجمّل ١٢٨٥ أي تاريخ ولادة الشاعر[٥]، وسيأتي ذكرها وتفصيلها[٦].

(١) انظر أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

(٢) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٤٩.

(٣) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧.

(٤) يوميات بيروتية، موقع يا بيروت.

(٥) البيروتيين: حكاياتهم، أمثالهم، ووقائع أيامهم، تأليف عبد اللطيف فاخوري، بيروت: مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ٢٠٠٩.

(٦) وذلك في فقرة (أخباره) من هذا الكتاب.

والده:

يعود عبد الرحمن بجذوره إلى والده النصرانيّ الأصل جرجس الصفدي الكاثوليكي، كان أبوه من نصارى صفد[١] الكاثوليك، فنزح، وهو في سَعة عيش عند أهله[٢]، إلى مدينة زحلة اللبنانية، وذلك سنة **١٢٣٢**هـ[٣]/ م، ومنها إلى بيروت[٤]، فأسلم على يد مفتيها سنة هـ/ ١٨١٦م[٥]، واعتنق الإسلام عن إيمان وإصرار، وبدافع روحيّ لا صلة له بترغيب ولا ترهيب[٦]، بعد أن رأى الرسول محمد ﷺ ثلاث مرات في الرؤية يدعوه لاعتناق الإسلام، وكان ذلك في عهد مفتي بيروت الشيخ عبد الباسط الفاخوري، الذي قدّمه إلى أسرة الفاخوري، وأوصاهم به خيرًا، وعاش في كنفهم ردحًا من الزمن.

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢.

(٢) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧.

(٣) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧.

(٤) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٤٩.

(٥) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧. وفي: مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٤٩: «أنّه أسلم على يد عائلة سلام فانتسبوه وأخذ اسمهم بعد أن تزوّج فتاة منهم»، ونحوه في: الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢: «وأسلم على يد أسرة (سلام) وتزوج فتاة منهم، وانتسب إليهم وتسمى محمد سليم المهتدي».

(٦) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧.

ثم تعرّف إلى أسرة سلام فأنزلوه منهم منزلة الولد البار[١]، وبانتقاله إلى كنفهم، وعلى عادة المسلمين في العهد العثماني، فقد أعطي جرجس الصفديّ اسماً جديداً هو «محمد سليم عبد الله المهتدي» تسمّى عندهم: (محمد سليم المهتدي سلام)[٢]، وسجّلوه في قيد النفوس التابع لهم[٣]، وأقام في بيروت بعد أن لقي رعاية من أحد وجهاء بيروت السيد علي سلام والد أبي علي سلام وجدّ الرئيس صائب سلام الذي أمّن له دكاناً للعطارة يرتزق منها لتأمين عيشه.

وبعد أن تيقن آل سلام من حُسن وصدق إسلامه زوّجه السيّد علي سلام شقيقته خولة، لهذا صارحه آل سلام بأن بيروت لم تعرف عائلات باسم «المهتدي»، لذا أعطوه اسم عائلتهم «سلام» لقباً له عوضاً عن لقب «المهتدي» فأصبح اسمه «محمد سليم عبد الله سلام» حسب سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، والذي أصبح فيما بعد من ذوي الأملاك.

وبعد وفاة جرجس الصفدي «محمد سليم عبد الله سلام» أُجريَ حصر الأرث الشرعي واجتمع الورثة في منزل وبحضور سليم علي سلام (أبو علي) ومختار المحلة محمد سعيد بن أحمد دوغان، وحضور زوجة المتوفى السيدة

(١) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧، وعبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

(٢) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧، وعبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.، وعبد الرّحمن سلام، الموسوعة العربية، خير الله الشريف، مادة (عبد الرحمن سلام).

(٣) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧.

خولة بنت عبد الجليل بن محمد سلام وبحضور أولاده السادة: عبد المجيد، خليل، عبد الرحمن (الشيخ عبد الرحمن فيما بعد) وكريماته السيدات: فاطمة، وخديجة، وحنيفة، وزكية، وجميلة، ونظلة. وقد وزع الميراث حسب الشرع الحنيف، وهو قطعة أرض في رأس بيروت قرب أراضي أحمد أفندي الصلح، وأراضي محمد أفندي ابن الحاج عبد الله أفندي بيهم، وأرض جبري باشا والخواجة تروليا الفرنساوي.

والواقع فإنّ عائلة جرجس الصفدي (محمد سليم عبد الله سلام) المؤلف من ثلاثة شبان وست شابات كانوا العناصر الأولى والرئيسية في تكوين هذا الفرع من آل سلام، يتقدمهم بروزاً وشهرة العلامة الشيخ عبد الرحمن سلام[١].

أمه:

والدته هي السيّدة «خولة سلام» عمة سليم علي سلام، أنجبت ثمانية أبناء نصفهم من الذكور، أحدهم الشيخ عبد الرحمن[٢].

إخوته:

أنجب محمد سليم عبد الله سلام: عبد المجيد، وخليل، وعبد الرحمن (الشيخ عبد الرحمن فيما بعد)، وكريماته السيّدات: فاطمة، وخديجة، وحنيفة، وزوكية، وجميلة، ونظلة[٣].

(١) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

(٢) عبد الرّحمن سلام، الموسوعة العربية، خير الله الشريف، مادة (عبد الرحمن سلام).

(٣) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية

زواجه:

يبدو أنّ تنقّل المترجم وترحاله من مدينة إلى أخرى كان سبباً في زواجه المتعدّد؛ فقد تزوّج الشيخ سلام من أربع نسوة؛ وهنّ:

١- الأولى: سعدى البدوية من مدينة قلقيلية في فلسطين. إذ عندما أصبح في الخامسة والعشرين من عمره دُعي لتولي القضاء الشرعي في مدينة قلقيلية بفلسطين، فقصد هذه المدينة، وأثناء عمله فيها اتخذ خادمة لخدمته حيث كان وحيداً من دون أهله، ثمّ تزوّجها وكانت هذه الخادمة تدعى سعدى البدويّة من قرية عرعرة وهي أولى زوجاته[١].

٢- الثانية من آل الجارودي.

٣- الثالثة من آل الدرزي.

٤- الرابعة: فاطمة النحاس التي أنجب منها بهيج ومحيي الدين سلام الموسيقي ذائع الصيت والد السيدة نجاح سلام، والإعلامي عبد الرحمن سلام، والحفيد الشيخ بهاء الدين سلام وسواهم الكثير[٢]. ولمّا انتقل الشيخ عبد الرحمن إلى عمله في حمص انتقلت معه زوجته بنت النحاس، أُمّ محيي الدين، بينما بقيت سعدى البدويّة في دمشق إلى حين وفاتها[٣].

= والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

(١) موقع يا بيروت.

(٢) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

(٣) موقع يابيروت.

أولاده وذرّيته:

أعقب الشيخ عبد الرحمن سلام عشرة أولاد؛ عرفنا منهم: الأستاذ محيي الدين سلام[١]، الموسيقار وعازف العود الشهير، وعلي، ومصباح، ومحمد، وعبد الله، وفؤاد.

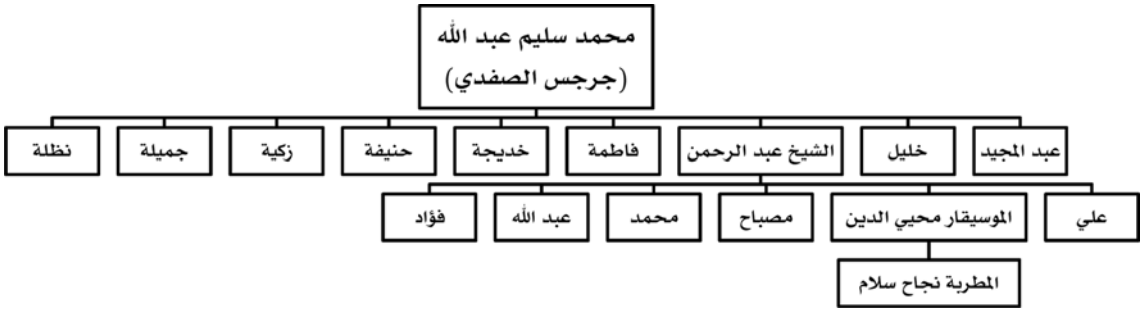

والأمر الملاحظ في أسرة الشيخ عبد الرحمن سلام حرصها على تسمية بعض الأولاد والأحفاد بأسماء متشابهة مع أسماء فرع سليم علي سلام (أبي علي)، إذ نرى اتّخاذها لأسماء مثل: علي، محيي الدين، مصباح، محمد، عبد الله، فؤاد. . . .[٢]

(١) الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام).

(٢) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

نشأته وتلقيه العلم

نشأ الشيخ عبد الرحمن سلام في بيئة عائليّة صالحة متديّنة؛ فأتمّ قراءة القرآن الكريم في حضرة والده[١]، وتلقى علومه الأولى في مدرسة ابتدائيّة يديرها الشيخ رجب جمال الدين[٢]، فأتقن مبادئ الفقه وشيئًا من اللغة العربية والحساب والخط[٣].

(١) موقع يابيروت.

(٢) رجب جمال الدين (كان حياً ١٣٠٣هـ) = (١٨٨٦ م) عالم ومؤدّب، ومن المشتغلين بالتعليم والتدريس في بيروت، كان له معهد تخرّج منه أعيان العلماء فيها، من أشهر تلاميذه الشيخ مصطفى الغلاييني والشيخ عبد الرحمن سلام، له مؤلفات مدرسية، وله ترجمة موجزة في «معجم المؤلّفين»، وذكره محمد القاياتي في «نفحة البشام في رحلة الشام»، انظر تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧، وعائلات بيروت وعاداتها وتقاليدها من خلال الرحّالة المصريّين، حسان حلاق، الحوار، يومية، تصدر في بيروت، العدد٣٨٧، ٢٣/ ٣/ ٢٠١٢، ومصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٤٩.

(٣) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧، وعبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢، عبد الرّحمن سلام، الموسوعة العربية، خير الله الشريف، مادة (عبد الرحمن سلام).

وبقي الشيخ عبد الرحمن سلام في عهدته حتى بلغ الثانية عشرة من عمره فانقطع عن هذا الشيخ ولم يلتحق بأيّ مدرسة أخرى بل أطلق العنان لسجيته الفكريّة وميوله النفسيّة وراح يلازم حلقات الشيوخ في المساجد ويتابع رواد اللغة العربيّة وآدابها[١]؛ فكانت عنايته بالمطالعة وارتياده حلقات العلم في المساجد همّه الأوّل في تلك المرحلة من حياته.

ولقد كانت لهذه اللغة جاذبيّة خاصة استحوذت عليه فما لبث أن وقف عليها مواهبه، وشّد رحال هواه إليها، وشّد عقله وهمّته وبصره إلى الكتب والمراجع في هذه اللغة، كالآجروميّة للصنهاجيّ، و«مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام النحوي، و«مختصر القدوري في فروع الحنفيّة» و«السراجيّة» في أحكام الإرث للإمام السجاوندي الحنفيّ، وكتاب «المفتاح في المعاني» للشيخ عبد القاهر الجرجاني.

وأكبّ الشيخ عبد الرحمن سلام على دواوين الشعراء في الجاهليّة والإسلام فحفظ الكثير منها ولم تخلُ مطالعاته من كتب التصوف التي تأثر بما فيها من حكم وإشارات لأهل الطريق. وبالإضافة إلى ذلك فإنه تعلّم اللسان التركي وأتقن الكلام بهذه اللغة[٢].

وهكذا كان اهتمام المترجم منصرفًا إلى العناية بالفقه والتصوف والشعر والقضاء الشرعي[٣].

---

(١) عبد الرّحمن سلام، الموسوعة العربية، خير الله الشريف، مادة (عبد الرحمن سلام).

(٢) موقع يابيروت.

(٣) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.، وللمزيد من التفاصيل انظر: كامل الداعوق: علماؤنا، ص ١٥٨-١٦٠، طه الولي: بيروت في =

انقطع الشيخ إلى الدرس على نفسه والتحصيل والمطالعة[١]، وهو ما يُسمّى اليوم بالتعليم الذاتيّ، ذلك أنّ المرء مهما تلقى العلم من أفواه العلماء فإنّ تعليمه الذاتي والمستمر واشتغاله بنفسه هو الذي يُعطيه مكنة علميّة وتميّزًا عن أقرانه من أهل العلم.

ووقف مواهبه أخيرًا على العربية وآدابها وتعمق فيها[٢]، ولُقّب بفرزدق عصره[٣]، فاستقام له شأنٌ واختصاص معرق بمكنونات اللغة وآدابها فدانت له وأصبح من أئمّتها[٤].

أخلاقه وشخصيته

تحلّى الشيخ سلام بأخلاقٍ محبّبة إلى نفوس الناس والعلماء وطلاب العلم؛ وهذا سرّ قبوله في أيّ بلدة حلّ، وفي أي مدينة ارتحل إليها، ولولا هذه الخصال التي جُبل عليها لكان منفورًا منهم، مرفوض الوجود. وقد

= التاريخ والحضارة والعمران، ص ٣٠٩-٣١٠، حسان حلاق: مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨-١٩٣٨، ص ١٨٢-١٨٣، بهاء الدين سلام: عالم من بيروت الشيخ عبد الرحمن سلام، دار البشائر الإسلامية، بيروت ٢٠٠٥.

(١) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢، ج٣/ قسم١/ ص ٥٤٩.

(٢) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧.

(٣) عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

(٤) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٧، ومصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢، ج٣/ قسم١/ ص ٥٤٩.

لاحظنا في ترجمته ذلك الأثر العجيب الذي يتركه في كلّ بقعة مكث فيها؛ من قلقيلية، إلى دمشق، إلى حمص، إلى بيروت.

فقد عُرف عنه الذوق، والرّقة، واللطف، والجدّ، والرّصانة، والكرم، والتواضع، وحبّ الخير، وروحه الوطنيّة، مع هيبة ووقار، وحبّ للنكتة والنوادر.

وأمّا شخصيّته العلميّة فكان اهتمام المترجم منصرفًا إلى العناية بالفقه والتصوف والأحوال الشرعية، وفنون العربية من الأدب واللغة والشعر. كما عُرف عنه درايته بفنون المقامات الموسيقية، وعنه أخذه ابنه محيي الدين.

يقول فيه الأستاذ ظافر القاسمي: «لم أدرك شخصيًا الشيخ عبد الرحمن سلام، رحمه الله، ولكنّي سمعتُ عنه ممن سبقني روائع في الذوق والرّقة واللطف، وتحبّيب الطلاب بلغة العرب وآدابها. وكان شاعرًا مبدعًا رقيقًا، وعالماً ضليعًا، فحبّذا لو أحيى ذكراه العطرة بعض من أدركه من إخواني الذين تتلمذوا على يديه»[(١)].

وقال عنه الأستاذ يوسف أسعد داغر: «عُرف بالجدّ والرّصانة، وبروحه الوطنيّة. كان صريحاً في الحقّ، يأنف من المحاباة، وينفر من الملَق والرّياء، كان كريماً، متواضعاً، مُحبّاً للخير، ساعياً به، عاملاً له، ظريف الرّوح والنّكتة»[(٢)].

وقال خير الدّين الزركليّ: «أديب، عالم باللغة، شاعر»[(٣)].

(١) مكتب عنبر، ظافر القاسمي، ص ٤٥.
(٢) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠.
(٣) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢.

وقال عمر رضا كحّالة: «عالم، أديب، ناثر، ناظم»[١].

وفي «تاريخ علماء دمشق»: «كان عالمًا بحّاثة فيلسوفًا وطنيًا مجاهدًا، يهوى الصوفية ويجمع بين الدين والدنيا، يأنف المحاباة وينفر من المظاهر الزائفة في الحياة، لا يهاب أحدًا في المواقف المحرجة، وكانت صراحته تؤلم أهل النفاق، كما كان كريمًا متواضعًا يحب الخير ونشر العلم، عليه هيبة ووقار يألف النوادر ويسدد النكات، وهو إلى ذالك حاد المزاج قد يغضب لسبب من الأسباب لكنه يعود إلى سماحته»[٢].

(١) معجم المؤلّفين، عمر رضاكحّالة، بيروت: مؤسّسة الرسالة،/ ٩٠.

(٢) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٥١، عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

الشيخ عبد الرحمن سلام والجهاد ضد المستعمرين

حدّث الأستاذ الشيخ بهجة البيطار أنّه لمّا دخل الفرنسيّون دمشق سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م، شعر الشيخ عبد الرحمن سلام بصدمة عنيفة، وتألّم ألماً شديداً، وقيل: إنّه أُصيب وقتئذ بحالة هستيريّة، لم يدرِ معها ماذا يفعل، لازمته مدّة، ثمّ تجاوزها إلى الإحساس بالألم الممزوج بالحقد على المستعمر الواغل، ممّا دفعه إلى القيام بواجب الجهاد والثورة، فأخذ يدرّب لفيفاً من الشبّان على القتال في سفوح قاسيون، بمنطقة تُسمّى الجري، كانت مضماراً لسباق الخيل[١].

ومن أشهر الخطب تلك التي ألقاها في دمشق أمام الأهالي الذين خرجوا بمظاهرة وطنية تندد بإنذار الجنرال غورو عام ١٩٢٠م. ويحدّثنا عنها تلميذه في مقدّمة (مكتب عنبر) علي الطنطاوي حيث يقول: «ولستُ أنسى خطبته حينما أطلّ من شرفة النادي العربي قبل ميسلون على بحر من الخلائق تموج

(١) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩، وعبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ ص ٧٩٧، والموسوعة العربية، خير الله الشريف، مادة (عبد الرحمن سلام).

موجان البحر. . وصاح صيحته التي لا تزال ترنّ في أذني: غورو لن تدخلها إلا على هذه الأجساد »[١].

وأمّا نشاطه للدفاع عن أرض فلسطين فنذكر أنّه في بيان مؤتمر العلماء الأول المنعقد بدمشق من ١١-١٣ رجب ١٣٥٧ الموافق ٦-٨ أيلول ١٩٣٨م، الذي كان الشيخ سلام نائباً لرئيسه، وشارك فيه، أعطى موضوع الجهاد في فلسطين كلّيّته في المؤازرة وتأييد أعمال (اللجنة المركزية بدمشق للدفاع عن فلسطين) في يوم ٢٧ رجب يوم فلسطين لجمع الإعانات لمنكوبي أهلها، وأنّ المؤتمر يرسل تحية خالصة مملوءة بالإكبار والإعجاب لزعماء فلسطين وشعبها الباسل في جهادهم الشريف العظيم.

وأظهر في بيان المؤتمر الاحتجاج الشديد على ما يجري في فلسطين الشقيقة المعذبة لإجلاء أهلها عنها، وتقسيمها بين الدخلاء، ومن أعمال السلطة الإنكليزية من قتل وتعذيب ونسف للمنازل والقرى ولمدينة جنين، والاعتداء على كرامة رجال الدينين الإسلامي والمسيحي، ومعاملتهم كالجناة المجرمين، وانتهاك حرمات المعابد، وتعطيل المجلس الإسلامي الأعلى، والاستيلاء على الأوقاف الإسلامية مع تأييد فتوى علماء العراق الأجلّة باعتبار جهاد فلسطين جهاداً مشروعًا[٢].

(١) أعلام الخطابة في بلاد الشام، بحث بشار منافيخي، في موقع أدباء الشام.
(٢) كما تمّ بيانه في فقرة بيان مؤتمر العلماء الأول المنعقد بدمشق، من هذا الكتاب.

الشيخ عبد الرحمن سلام
المدرّس والمربّي

إنّ المدارس التي درّس فيها الشيخ عبد الرحمن سلام كانت مدارس لا يدرّس فيها إلا العلماء، وكان لها الفضل بأن خرّجت النابهين في عصرهم، ورجال الاجتماع والسياسة والأدب والدّين، من أهل العصر والصّقع، وخرّجت رجال الدولة الذين اعتُمد عليهم في بناء المجتمع سياسيًّا وثقافيًّا وتعليميًّا وتربويًّا.

قال يوسُف أسعد داغر فيه: «خطيب مصقع، ومربّ عمل سنين عديدة في حقل التربية والتعليم»[١].

وقال تلميذه علي الطنطاوي في مقدمة كتاب «مكتب عنبر» للقاسمي: «لقد كان أوّل درس حضرناه في مكتب عنبر للشيخ عبد الرحمن سلام فاستقبَلَنا رحمة الله عليه بخطبة رنانة أعلن فيها أنه غدا منذ ذلك اليوم (مع قيام الدولة العربية) مدرّسًا للعربية حقًا»[٢].

---

(١) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٤٩.

(٢) مكتب عنبر، ظافر القاسمي، ١٧.

ونذكر من تلامذته الأعلام في بيروت: الشيخ حسين محيي الدين الحبال، والشيخ محيي الدين الخياط، والشيخ محمد ياسين، والشيخ شفيق يموت، والشيخ أحمد العجوز، والشيخ عبد الله العلايلي، والشيخ مصطفى الغلاييني، والشيخ محمد جمعة الداعوق، والشيخ سعدي ياسين، وبهيج عثمان وهو من تلاميذ الرعيل الأول من طلاب الكلية الشرعيّة (أزهر لبنان الآن)[١]، وسواهم من الأعلام العلماء[٢].

ومنهم أيضًا في دمشق: سعيد الأفغاني، وعلي الطنطاوي، ومحمد الجيرودي، وجمال الفرا، وأنور العطار، ومسلم القاسمي، وجميل سلطان، وزكي المحاسني، وأمجد الطرابلسي، وعبد الغني بن سعيد الكرمي[٣]،

(١) بهيج بن سليم عثمان: عميد النشر العربي الحديث، ولد العام ١٩٢١ في مدينة بيروت، تلقى علومه الابتدائية في مدارس المقاصد ثم التحق بالكلية الشرعية التي تخرّج منها عام ١٩٣٩. تلقى علومه الجامعية في كلية الآداب بجامعة القاهرة حيث نال ليسانس الآداب بامتياز في عام ١٩٤٢. عمل في الصحافة الأدبية أميناً لتحرير مجلة الأديب وفي عام ١٩٤٥ أنشأ مع فريق من إخوانه داراً للنشر باسم دار العلم للملايين ومجلة أدبية باسم «الآداب». وفي خلال ذلك كان يتولى تدريس الأدب العربي في الكلية الشرعية في بيروت، وفي الكلية الداودية في عبية، وفي كلية الآداب بالجامعة اللبنانية. ساهم في انطلاقة مجلة العربي الكويتية التي خدمت الثقافة العربية يلقب بـ«رائد النشر الحديث». توفي في العام ١٩٨٥. موقع ويكيبيديا.

(٢) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

(٣) ولد عبد الغني بن سعيد بن علي الكرمي في مدينة طولكرم عام ١٩٠٨ م، وعاش في أسرة اشتهرت بالعلم والدين والادب، حيث لعبت عائلة الشيخ سعيد الكرمي دورًا هامًا في الثقافة الفلسطينية فقد نبغ عدد من أفرادها علماء وأدباء، فهو شقيق أحمد شاكر الكرمي الكاتب والأديب، وعبد الكريم الكرمي «أبو سلمى» الشاعر، ومحمود الكرمي الذي عمل في الصحافة وحسن الكرمي الذي كرس حياته للعمل المعجمي.

وشقيقه عبد الكريم الكرمي، وغيرهم كثير. كان لهؤلاء الطلاب دراية في العربية ودربة في فنون الكلام، وما جاءت لهم هذه الملكة من فراغ لولا حرص أساتذتهم وتشجيعهم لهم أن تكون اللغة العربية زادهم وكيانهم، فكانوا في جلساتهم لا يتحدّثون إلا الفصحى.

يقول الأستاذ سعيد الأفغاني رحمه الله في كتابه «من حاضر اللغة العربية»: «دخلت مدرسة تجهيز ودار المعلمين تلميذاً بعد الاحتلال بعامين، وقد جمع طلاب الثانوية وطلاب دار المعلمين على منهج واحد، ثم ينفرد طلاب دار المعلمين بدروس مسلكية إضافية بعد الدوام وقبله، فوجدت فيها على منابر اللغة ثلاثة من أعلام العربية هم: المرحومون الشيخ عبدالرحمن سلام، والشيخ محمد سليم الجندي، والشيخ محمد الداوودي، ولم أستكمل العام حتى انتقل الأول إلى بلده بيروت وحلّ محلّه الشيخ أبو الخير القواس، وبعد ثلاث سنين أضيف إليهم الأستاذ محمد البزم، رحمه الله، ومع اختلافهم في التمكن والتبحر في علوم العربية، يستوون في حبّها والغيرة عليها والسعي لرفع شأنها والحماسة في تعليمها. وعلى جهود هؤلاء وأمثالهم في بقية المدن الشامية ارتفع لواء اللغة العربية الشام وحمله بعدهم تلاميذهم»[1].

= والده العالم المشهور الشيخ سعيد الكرمي أحد طلائع رجال النهضة العربية المعاصرة كان فقيهًا بالدين واللغة وشاعرًا. تلقى عبد الغني دراسته الابتدائية في مدرسة طولكرم، وفي عام ١٩١٨م انتقل إلى دمشق وواصل دراسته ليلتحق بمدرسة التجهيز الأولى (عنبر). كان من بين أبرز المثقفين الذين ساهموا في دعم الصحافة، وأحد أعضاء «عصبة الأمم» التي تشكلت في فلسطين عام ١٩٣٥. وأصدر اثنتين من الصحف والدوريات في فلسطين باللغة العربية خلال الفترة ما بين ١٨٧٦ و١٩٤٨ هما «الصاعقة» التي أصدرها سنة ١٩٣٥ في مدينة يافا وكان صاحب الامتياز لها، والأخرى «الميزان» وأصدرها من يافا سنة ١٩٤٨. وهو يجيد اللغات الروسية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية والعبرية والألمانية. (موقع ويكيبيديا).

(١) انظر حاضر اللغة العربية في بلاد الشام، للأستاذ سعيد الأفغاني.

ويقول عنه الشيخ علي الطنطاوي، ويذكر من هؤلاء المؤثّرين في ذهنيته الشيخ عبد الرحمن سلام البيروتي فيقول: «إنّه أطلق مَن عَرفتُ لساناً، خطيب متدفّق، يرتجل الشعر، يسأل التلميذ عن اسمه فيُسلكه في منظومة ليست كقصائد المتنبّي أوشعر محمّد المجذوب، غير أنّه كلام مقبول من شأنه أن يطبع أثره في نفسي»[1].

(١) علماء ومفكرون عرفتهم، تأليف محمد المجذوب، الرياض: دار الشواف، ط٤، ١٩٢/٣.

الشيخ عبد الرحمن سلام الشاعر

كان الشيخ عبد الرحمن سلام شاعراً مبدعاً تعلق باللغة العربية وآدابها وسبر أغوارها، فقرض قصائد وطنية واجتماعية وصوفية كثيرة، وترك أشعارًا لطيفة جميلة تدل على قريحة وفصاحة، قال عنه حفيده الشيخ بهاء الدّين سلام: كان الشيخ عبد الرحمن سلام ينظم الشعر فطرة وسليقة وخاصّةً في المناسبات، لذلك كثيراً ما كانت أشعاره جواباً على سؤال أو بياناً لحال، وربّما قال أبياتاً من الشعر في وصف الأوضاع الاجتماعيّة، وأحياناً كان يترك لسانه يهيج بالشعر الذي يحتوي على الحكمة أو ينحو به نحو منظومات المتصوّفين أهل الطريق.

ومع اهتمام المترجم بالعربيّة وعلومها وآدابها وفنونها؛ فإنّه كان يعدّ من جملة الشعراء المجيدين، حتّى إنّ أصدقاءه لقّبوه «بأمير الشعراء» قبل أن يُطلق هذا اللقب على أحمد شوقي، كما لُقّب أيضاً بـ «شيخ الشعراء»، و«فرزدق العصر»، ولكنّ نزعة التصوّف والزهد التي سيطرت على نفسه نالت نصيب الأسد في أشعاره. بيد أنه لم يجمع شعره في ديوان، وقد ذُكِر في مؤلفاته نظمٌ شعري بعنوان (الأذواء) أشار الزركلي إلى أنه مطبوع، وهو في ٣٠٠٠ بيت من قافية واحدة وبحر واحد، ردّ فيه على نقولا غبرييل صاحب النشرة الأسبوعية حول كتاب «بحث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين»، وقد

جمعت المصادر من شعره أقل من (١٥٠) بيتًا، وذكرت له من القصائد: تخميس قصيدة ابن الفارض، وذكرى وفاة الشيخ طاهر الجزائري، ولسان الحقيقة: بمناسبة ذكرى المولد النبوي، ورثاء مصطفى نجا مفتي بيروت، وقصيدة في المؤتمر الإسلامي، وأخرى في هجاء مدينة حماة ومدحها.

قال خير الدين الزركلي: «ولم يجمع شعره، قلتُ له يوماً (سنة ١٩١٢) [وهي العام التي قدم بها دمشق]: أين ديوانُك يا أستاذ؟

فقال: لم أكتب ديواناً، وإذا أردتُ استطعتُ نظمه في شهر.

فقلت: لا يكون هذا من الشعر»[١].

وهذا دليل على اعتزازه بملَكته الشعريّة، وامتلاكه ناصيّة الأدب.

ويقول نجله محيي الدين سلام رحمه الله: «لقد كان والدي شاعراً مطبوعاً وكبيراً، فهو ينظم الأشعار والموشّحات والأناشيد في مناجاة الله تعالى ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام، كما كان عالماً بأصول النغمات وعلم المقامات، وأذكر أنّه كان ملتزماً بجلساتٍ أسبوعيّة يقرأ فيها الأذكار ويتلو الأناشيد والابتهالات النبويّة الشريفة مع عدد كبير من العلماء أمثال الشيخ محمد الكستي وغيره»[٢].

ويقول فيه العلامة الشيخ محمد العربي العزوزي: «العلّامة اللغويّ النحويّ الصوفيّ، فصيح العبارة طليق اللسان، معرب عمّا يكنّ بجنابه من المعرفة الإلهيّة بإشارة عالية... الشيخ عبد الرحمن سلام.

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢.

(٢) عالم من بيروت: الشيخ عبد الرحمن سلام: لمحات من حياته وشيء من آثاره، ومعه دفع الأوهام بقلم ابن سلام، جمعها واعتنى بها بهاء الدين سلام، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٥٥.

شعره في أعلى طبقة الفريقين، الأدباء والصوفيّة، شطّر الخمرية وكثيراً من كلام القوم، اجتمعتُ به في نهاية الحرب العالميّة الأولى، زارني في بيتي وزرتُه، ونفعني بمذاكرته كثيراً وببديع إشارته القوميّة»[١].

وقال فيه تلميذه القاضي الشيخ شفيق يموت[٢]: «كان سماحته مهيباً جليلاً عميقاً في علم اللغة العربيّة بل كان قاموساً للغة العربيّة كبيراً، لا يفوته معنى أيّ كلمة صعبة، فلا يُسأل عن أيّ بيت من الشعر، من الجاهليّة أو صدر الإسلام أو العصر الأمويّ أو غيرها من العصور، أو عن حكمة ما، إلّا ويشرحها لنا جميعاً شرحاً وافياً وكأنّه يقرأ في كتابٍ مفتوحٍ أمامه»[٣].

ويقول أيضاً:

«كما كان أيضاً شاعراً ملهماً، يقول الشعر ابن ساعته دون أن يفكّر يوماً أو يومين في نظم قصيدة ولو كانت قصيرة، فإذا أراد أن يصف شيئاً يصفه على البداهة شعراً، وهذه موهبة عظيمة كانت معروفة عن الشيخ عبد الرحمن سلام الذي كان أميناً لمفتي الجمهوريّة اللبنانيّة أيّام الشيخ محمد توفيق خالد رحمهم الله جميعاً».

(١) إتحاف ذوي العناية، ص ٧٣.

(٢) هو العلّامة الشيخ شفيق يموت (رئيس المحكمة الشرعيّة السنيّة العليا سابقاً)، أحد أشهر رجال القضاء الشرعي الذين مرّوا في تاريخ لبنان الحديث، وُلِدَ في بيروت عام ١٩١٩م في رحاب عائلة بيروتيّة عريقة، دخل الكليّة الشرعيّة، فتلقّى تعليمه فيها وتخرّج منها، ثمّ سافر إلى القاهرة فالتحق بالأزهر، ونال شهادته منه عام١٩٤٣م، ثمّ عاد إلى بيروت فعُيّن قاضياً شرعيّاً في البقاع، ثمّ قاضياً شرعيّاً في بيروت، ثمّ مستشاراً لدى المحكمة الشرعيّة العليا، تُوفّيَ رحمه الله عام ٢٠٠٤م.

(٣) ذكريات عن الشيخ عبد الرحمن سلام، بقلم شفيق يموت، ضمن: عالم من بيروت: الشيخ عبد الرحمن سلام: لمحات من حياته وشيء من آثاره، ومعه دفع الأوهام بقلم ابن سلام، جمعها واعتنى بها بهاء الدين سلام، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٤٤ وما بعدها.

وقال فيه يوسُف أسعد داغر: «أحد أئمّة اللغة والأدب في لبنان، أديب، ناثر، شاعر، له مقصّدات حكميّة، وطنية، اجتماعية وصوفية»[١].

وكتبت مجلّة (العرفان)[٢]:

«الشيخ عبد الرحمن سلام: شاعر متوقّد الذكاء، ويسيل شعره العذب الساحر رقّةً وظرفاً، رائع الوصف، جميل الرّصف، بارع اللفظ، ساحر المعنى، مكثار مجيد، وشعره من السهل الممتنع، يبصره الرائي لأوّل مرّة فيحاول مباراته ثمّ لا يلبث أن يتراجع أدراجه إذ يرى دون ما أراد حائلاً، لا يجد سبيلاً إلى محاكاته، تحار فيما تختار من رائق شعره وكلّه درر.

وحسبك من بينها هذا العقد العظيم إذ قال في وصف الشعر والشعراء:

يا مدّعي الشعر مع جهله ... رويدك ما الشعر إلّا شعور
فلا تنظم الشعر إلّا وأنـ ... ـت على نظمه إن تشاء قدير
ومهما عصاك فحاول واجسر ... عليه فقد قيل فاز الجسور
نضمّ إلى اللفظ لفظاً قريباً ... له نحو قولك نار ونور
فقطب المعاني هذا اللفظ جزلاً ... فإنّ المعاني عليه تدور
وهذي المعاني جنود فإن ... تطعْك فأنت عليها أمير

ومن شعره:

قوله لمّا قصد الاصطياف في بعلبك ولم يجد بيتاً له فيها:

(١) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٤٩.
(٢) مجلة العرفان، العدد الخامس (المجلد الثالث ص ١٧٨ الصادر في ٢٢ آذار ١٩١١).

أتيتُ لبعلبكّ ومَن أتاها رأى بديارها أمراً عجيباً
كأنّ بيوتها أبيات شعري فلا جسداً تضمّ ولا غريباً[١]

ومن شعره تخميسه لقصيدة ابن الفارض تقع في أكثر من عشرين مقطعًا منها[٢]:

برق تألق أم جمالك أسفرا أم نور وجهك لاح أم طيف سرى
حيرتني يامؤنسي فيما أرى زدني بفرط الحب فيك تحيرا
وارحم حشًا بلظى هواك تسعّرا
يا من جعلت لي الغرام سليقة فغدت عهودي في هواك وثيقة
امنن ودع حجب الجمال رقيقة فإذا سألتك أن أراك حقيقة
فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى
سيروا بسيري في المحبة واجمعوا جمعي وعن حالي فلا تترفعوا
وإذا انجلى لكم المحلّ الأرفع عنّي خذوا وبي اقتدوا ولي اسمعوا
وتحدّثوا بصبابتي بين الورى

ومن لطيف شعره بيتان قالهما مرتجلاً في المؤتمر الإسلامي المذكور لما قال الملك عبد العزيز آل سعود: نحن عرب قبل أن نكون مسلمين:

قال عبد العزيز قولاً كريمًا والصوابُ الذي يقولُ الإمامُ
نحن قبل الإسلام عربٌ ولكن نحن بعد الإسلام عربٌ كرامُ

(١) موقع: (تريبولي سكوب).
(٢) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٥١، عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

وله قصيدة فريدة من نظمه ردّدها التلامذة بصوت رخيم حزين في ذكرى وفاة فقيد المجمع العلميّ العربيّ بدمشق الشيخ طاهر الجزائريّ، قرب قبره في سفح قاسيون، وكان المشهد يُقدّر بزهاء ستة آلاف طالب وعالم وأديب[١].

وله قصيدة «أم القرى» نظمها تحية للشريف حسين قائد الثورة العربية الكبرى ومطلعها:

على أمّ القرى منّا سلامُ ... على من ضمّ جمعهم خيامُ

على من في ضواحيها أقاموا ... على من شبّ بينهم وشابوا

غنّاها ولحنها الموسيقي السوريّ شفيق شبيب بالاشتراك مع الموسيقي اللبناني متري المر[٢].

وقصائد متنوعة منها الوطنية، والاجتماعية، والصوفية، وذات الحكم والأمثال[٣].

ومن قصائده قصيدة في رثاء الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت[٤]:

رويدك لا تضق للخطب صدرا ... وحاول ما استطعت عليه صبرا

محال أن تعيش بلا تأس ... على الأرزاء وهي عليك تترى

أترجو أن تسالمك الليالي ... ولم توسعك إرهاقاً وغدرا

(١) مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، ١٣٣٩، ١٩٢١م، ١/ ٥٤.

(٢) الموسوعة العربية، دمشق رئاسة الجمهورية، مادة (شبيب، شفيق)، كتبها صميم الشريف.

(٣) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٥١.

(٤) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٥٢، .

فلا تطلب وفاء من زمان ... على نقض العهود قد استمرّا
فإنَّ مُدَى الحوادث مشحذات ... لتطعن لبّة وتشق صدرا
فلو رمن الرقيع لنلن منه ... ومن حمل النجوم أصبن نحرا
فكم في الأفق من نجم مضيء ... هوى وخبا وأخفق واستسرّا
وكم جرّ البِلى في الأرض ذيلاً ... فعفَّى معقلاً وأخرَّ قصرا
أما نزل القضاء بدار دارا ... فأبدله بها لحداً وقبرا
رأيت الموت غاية كل حي ... ولو بلغ السماء وعاش دهرا
ولولا الكل فيه على سواء ... لأبقى تغلباً وأباد بكرا
كأن الموت بين الناس ضيف ... بأنفَس أنفُس الكرماء يُقرى
يؤم العالمين أباً وأمّاً ... ويخطب بينهم ختناً وصِهرا
فيخطف منهم الأرواح قسراً ... ولا يجدون منه لهم مفرا
فما الأرواح في الأشباح إلّا ... ودائع ربُّهن بهن أحرى
فلا يفتأن يُستررددن حتى ... تردَّ وديعة من بعد أخرى
كأنّ الناس ألفاظ عليها ... تنازعت العوامل مستمرا
وفيهم قد تصرفت الليالي ... فهم في قبضة الأيام أسرى
وصرف الدهر نحوَهُم مضاف ... يجر إلى الفناء الكلَّ جرّا
وقد يتعجل الصلحاء منهم ... كأن له على الصلحاء ثأرا
قضى «مفتيك» يا بيروت نحباً ... فقطّب وجه عيشكِ واكفهرا
وكنت قُبيل ذلك ذات وجه ... يُضيء تهللاً ويفيض بشرا
قضى ومضى فحق لكل عين ... جمود أن تسيل الدمع عبرى

تسابقت العيون إلى بكاء فكانت مقلتي للدمع أجرى
ورُبّ معارضٍ لي في نحيبي يقول كفاك إن الكِبْد حرّى
فقلت له بودّك لا تلمني عليه والتمس لأخيك عذرا
أرى العبرات تنبئ عن وفاء وتطفئ من لهيب القلب جمرا
فقل للّابسين عليه سوداً ليُبدوا ما أكن السرّ جهرا
لقد كذب الأسى منكم فلِمْ لا أحال الدمع تلك السود حمرا
وفيه تجارت الشعرا رثاء فقلت وكنت أرثى الناس شعرا
نظمتُ له الرثا ونثرتُ دمعي لأقضيَ حقه نظماً ونثرا
ألا يا «مصطفى» من خير قوم خلائقهم نفحن فطبن نشرا
نعتك لأهل بيروت النواعي بصوت كان للآذان وقرا
فعمّ دويُّه في الأرض حتى أحاط بها الأسى قطراً فقطرا
رحلتَ وفي الجوانح أيُّ داء تحاماه الطبيب فليس يبرا
أسى وبكا وغمٌ والتياع وهمٌّ ناصبٌ وهلمّ جرّا
قضيت على التُّقى أجلاً مسمى ومن جرّاء ذلك نلت أجرا
وخلفت الثناء عليك فازدد عليه من الملا حمداً وشكرا
أقمنا مأتماً لك باحتفال أصبنا عبرة فيه وذكرى
وكان لنا صريح العذر إذ لم نعدَّ مناقباً لك فيه غرا
فما في وسعنا إحصاء فضل كبير قد حكى في الوسع بحرا
لك الخلق الذي قد عزَّ مثلاً فكان نظيره في الخلق نزرا
عهدتك في سبيل العلم تمضي لتدرك غاية للعلم كبرى

فمن لي أن تنبئني بأمر ... بدا لك بعد أن قد كان سرّا
ألم تشهد وراء العلم علماً ... به ما كنت تخبر عاد خُبْرا
عرفتك غير هيّاب لأمر ... ولا وجل إذا لاقيت أمرا
عركت الدهر في عُسر ويسر ... وذقت جنيَّه حلواً ومرّا
فعشت وأنت في الحالين عبد ... لربّك بين خلق الله حرّا
وكنت على الثرى تمشي الهوينى ... كبير القدر لا تختال كبرا
وكان إلى الثريا فيك نفس ... تسير بجدها عدواً وحُضرا
وأنت اليوم مثلك قبلُ لكن ... مقامك زاد عند الله قدرا
طلعت على الملا قمراً منيراً ... تكامل للهدى فأفلت بدرا
فروحك في الضراح لها مقرّ ... وإن يك في الضريح الجسم قرا
تهنّأ يا نقي القلب وافرح ... فقد وافتك من مولاك بشرى
عليك تحيّة الرحمن تترى ... يفوح أريجها مسكاً وعطرا
ولا زالت سجال العفو تسقي ... ثراك بعارضٍ ينهلُّ قطرا

ونُشرت له قصيدة بعنوان «لسان الحقيقة»[1]:

نفس ابن آدم جلّ من سوّاها ... لم يرضها إلّا بلوغ مناها

(١) نُشرت في مجلّة التمدن الإسلامي في عددها الثالث، السنة الثانية بتاريخ جمادى الأولى ١٣٥٥هـ. فقد أوردت المجلّة في هذا العدد خبراً تحت عنوان «لسان الحقيقة» تقول فيه: أقامت الكلّية الشرعيّة في نادي دار الأيتام الإسلاميّة في بيروت يوم حفلتنا النبويّة حفلة كبيرة حضرها جمهور كبير من العلماء والحكّام والوجهاء، وقد خصّ أحد خطبائها الأستاذ عبد الرحمن سلام أمين فتوى الجمهوريّة اللبنانيّة مجلّتنا بهذه القصيدة العصماء التي ألقاها في الحفلة المذكورة (البحر الكامل).

يا نفس كم لك من منىً محمودةٍ أقصى ذميم هواك عنك مداها
خدعتك نفسك يا ابن آدم فاعتصم من أصغريك بما يقيك أذاها
فإذا دعتك إلى الغواية فانهها عن غيّها فالحرّ من ينهاها
واذكر بأنّك عبد ربّك وحده أبداً وإلّا كنت عبد هواها

❁ ❁ ❁

إنّي بلوت من الرجال خلائقاً شتّى الضروب تهول من أحصاها
يرضيك ظاهرها فتوقن أنَها شيم عبير المسك بعض شذاها
حتّى إذا كشف الزمان ستورها ألفيت أنواع الخداع وراها

❁ ❁ ❁

يا من له الأكوان طرّاً سخرت عن أمر مبدعها بكلّ قواها
عجباً لنفسك وهي ذات جبلّة باري الأنام على الصفاء براها
كيف استحالت للكدورة معدناً أِلمثْل ذلك ربُّها أنشاها

❁ ❁ ❁

قل لي إذا كان النّهى من شأنها أنهاك عن خلق اللئام نُهاها

❁ ❁ ❁

يا أيُّها الإنسان إنّي لم أجد لك بين وحشان الفلا أشباها
تضري الكواسر والوحوش ولم يضر تلك الكواسر والوحوش ضراها
لكن مثلك وهو أشرف فطرةً منها يضرّ به إذا حاكاها
فاحفظ كرامتها وإلّا فابتعد عن أرضنا هذي وأمَّ سواها

قم واجلُ عنها فهي أرض حرَة بسواك قد طابت وطاب ثراها
وارحل إلى الأرض التي هي بيـ ـئةٌ موبوءة غير الكرام ثواها
يا قوم إنّ من الخلائق معشراً ظنّوا الحياة وقاحة وسفاها
ملؤوا البسيطة غيبة ونميمة من حيث أدناها إلى أقصاها
لا يعرفون سوى معاداة العلا وكذاك من جهل العلا عاداها
لهم مقاول كالمقارض أعملوا في قرض أعراض الكرام مداها
ولهم نفوس بالنقائض أولعت فرأت صنوف العار بعض حلاها
ما هم ولا الحشرات غير نظائر فالكل بين مضاهئ ومضاهى
لبسوا ثياب الهون واشتملوا بها ودنيّ لحمتها نظير سداها
سخروا بمن ولدته أمّ سواهم حوّاء طيّب ربّنا مثواها

❁ ❁ ❁

وعلى النفاق تعاقدوا وتعاهدوا وهنا الوفاء كما يرون تناهى
تكذيبنا أقوالهم أقوى لنا إنّ الكِذَابَ أقل من معناها
أفعالهم أفعى إذا دعت الردى أنيابها وسمومها لبَّاها
لا ينجع الترياق في لذعاتها كلّا ولا تجدي الرقاة رقاها
فتوقّهم ولو انّك استصغرتهم فمن البيادق ما يميت الشاها

❁ ❁ ❁

تبّاَ لأيّام تفشّى شرُّها فينا فساء صباحها ومساها
تمضي كذا وصروفها تنتابنا وتدور مع كرّ الزمان رحاها

الـخـزي فـي الأوطـان مـدّ رواقـه والـضـيـم عـن يـد أهـلـهـا غـشـاهـا
عَريَت من المجد القديم ونابها ما نـابـهـا مـن ظـلـمـهـم وعَـراهـا
خذل البلاد بنو البلاد فأصبحت والـذلّ مـلء وهـادهـا ورباهـا

❁ ❁ ❁

ومـن الـعـجـائـب والـحـيـاة ذمـيـمـة فـيـهـا اسـتـطـابـة مـائـهـا وهـواهـا
تلقى الفتى وهو المضيم إذا مشى فـيـهـا مـشـى مـتـعـجـرفـاً تـيّـاهـا
الـنـاس فـوضـى والـتـفـرّق سـائـد والجهل محتكم ولا استكراها

❁ ❁ ❁

يـا ابـن الـذيـن تـوقـلـوا قـمـم الـعـلا وسـمـوا بـهـمـتـهـم إلـى أعـلاهـا
اللص جاس خلال دارك فانتبه وانـفـضّ عـن الـعـيـن الـنـؤوم كـراهـا
أتطيب نفسك بالحظيرة منزلاً من بعد أن سامى السهى مأواها
قد كنت بين العالمين مباهياً فـغـدوت دون الـعـالـمـيـن مـبـاهـى
أفقدت نفسك عزّةً ما خطّ في تـاريـخ غـابـر أمـة شـرواهـا
فـأعـد لـلـجـلّـى تـراث مـحـرِّقٍ ولـكـشـف كـربـتـهـا كـن ابـن جـلاهـا
اثـأر لـنـفـسـك غـيـر هـيّـاب وذد عن حوضها المغضوب واحم حماها
واغضب لمجدك غضبة مضريّة واهـتـك بـهـا سـتـر الـخـصـيـم وجـاهـا
وانـهـض لـتـرجـعـه إلـيـك بـقـوّة تـدري الـضـريـبـة مـا تـكـن شـبـاهـا
يـا أمّـة كـان الـعـدوّ لـهـا إلـى أن كـاد يـسـقـيـهـا كـؤوس رداهـا
إنّ الـعـدوّ لـحـيّـةً لـدّاغـة إن تـتـرك تـفـغـر لـتـلـقـم فـاهـا

فتحرّزي منها فإنّ لعابها ... نارٌ يذيب حشا اللديغ لظاها
وثقي بأنّك لا يقيك أذاها ... إلّا الرجوع إلى شريعة طه
فلئن قلاها فرقةٌ ضِلّيلةٌ ... غلبت ضروب فجورها تقواها
فلقد أتاها من يجدّد أمرها ... ويشدّ بالحقّ المبين عراها
فئةٌ إذا رفعوا عقيرة هديهم ... بين الورى سَمِع الأصمّ صداها
وضحت محجتهم وحجّتهم محت ... شبهات من ضلّ السبيل وتاها
خُصّوا بجدّ رافقته بلا ونى ... همم تطول من النجوم سهاها
نشؤوا على الإخلاص في أعمالهم ... فحلت وطاب ثمارها وجناها
كرهوا الغرور ولم تعْفه نفوسهم ... إلّا لأنّ الله قد زكّاها
هم فتية طلّاب علمٍ زانه ... عملٌ به افتخر الزمان وباهى
سيماهمُ إنّا نحب محمّداً ... وشعارهم إنّا نطيع الله
ضمّتهمُ كليّةٌ شرعيّةٌ ... قد قام بالتوفيق صرح بناها
فلتبق للإسلام ركناً ثابتاً ... وليلق خيراً كلّ من والاها

عبد الرحمن سلام الصحافي

شهدت بيروت إنشاء عدد كبير من الصحف، كما سبق أن بيّنّا ذلك، والملاحظ أنّ الشيخ عبد الرحمن سلام كان له إسهام في مجال الصحافة؛ سواء بتأسيس صحف أو الاشتراك في اللجنة الصحفية في لبنان.

فقد كتب الشيخ في العديد من الصحف اللبنانية والعربية. كما أسّس بعض الصحف البيروتية منها:

«روضة المعارف» في عام ١٩٠٨م بالاشتراك مع محمد علي القباني. فكان القباني صاحبها والشيخ سلام رئيس تحريرها، وهي تصدر مرتين في الشهر «علمية، أدبية، فكاهية»[١].

وأسّس جريدة «القلم العريض»، منفرداً[٢]، وصدرت في بيروت بتاريخ

(١) مجلة المقتبس، أصدرها: محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد كُرْد عَلي، العدد ٣٧.

(٢) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، وأصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ. ويوسف أسعد داغر: قاموس الصحافة اللبنانية ١٨٥٨-١٩٧٤، ص٣٦٥.

٥/٨/ ١٩١١م، التي كانت«فكاهية أسبوعية» وسرعان ما أقفلها[١]، وانتقل لأسباب عائلية إلى دمشق[٢].

وأمّا انتخابه في اللجنة الصحفية: ففي مطلع القرن العشرين، فكر الصحافيون قبل شيوع النقابات في لبنان بتأليف لجنة تجمع شملهم وتيسر لهم التعاون في خدمة الصحافة وإعلاء شأنها والتخفيف من عبء قيودها وكان ذلك بتاريخ ١٠/ ٧/ ١٩١١ في العهد العثماني؛ إذ اجتمع فريق منهم بدعوة من الدكتور فارس نمر وهو أحد أصحاب «المقتطف» و«المقطم» وعضو مجلس الشيوخ في مصر يومذاك. وحضر الاجتماع جميع الصحافيين في بيروت للمذاكرة بشأن الصحافة. ويقول البيان الذي أذاعوه بعد الاجتماع أنهم بحثوا الأمور المؤدّية إلى تعزيز الصحافة وجعلها قوة عظيمة عاملة على خدمة الدولة والوطن، وانتخبوا بالإجماع السادة: خليل سركيس، والشيخ أحمد طبارة، **والشيخ عبد الرحمن سلام**، وبولس الخولي «لجنة صحفية»[٣]؛ تسعى للوصول الى الغاية المذكورة، ومدّتها سنة، وعهد برئاستها إلى الأستاذ خليل سركيس، وبنيابة الرئاسة إلى الشيخ أحمد طبارة، **وبأمانة الصندوق إلى الشيخ عبد الرحمن سلام**، وبأمانة السر إلى الأستاذ بولس الخولي. وفي اليوم الثاني

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، وفي تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩: أنّه أسّسها بعد عودته من دمشق سنة ١٣٤٤، وهو وهم.

(٢) عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢، الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام).

(٣) انظر: مؤسسات الدولة الحديثة الاجتماعية والسياسية: النموذج اللبناني على ضوء أحدث التشريعات، ١٩٩٥، وموقع وزارة الإعلام اللبنانية.

اجتمعت اللجنة وباشرت وضع قانونها الأساسي فأقرت منه ثماني عشرة مادة ووقفت عند هذا الحدّ.

وفي ١٩١٨، تأسست في بيروت جمعية الصحافة بمثابة فرع لجمعية الصحافة العثمانية في إسطنبول وتابعة لها مباشرة، وتولى رئاستها جورج حرفوش صاحب جريدة «جورنال من بيروت»، ونيابة رئاستها محمد باقر صاحب «البلاغ»[١].

(١) من تاريخ المنظمات المهنية للصحفيين العرب، ذياب فهد الطائي. موقع قناة الفيحاء.

الشيخ عبد الرحمن سلام الخطيب

عُرف الشيخ بطلاقة لسانه وفصاحته وبيانه، كما كان لجرأته في الحقّ فيما يظهر أثر فيما تركه من أثر في نفوس سامعيه. ولِحُسن خطابته وتميّزه عن أقرانه في ذلك اختارته الدولة العثمانية في عام ١٩٠٧ ليكون خطيباً يوم تدشين مكتب التجارة والصنائع الحميدي[١].

وقد شهد له أعلام عصره بذلك؛ وفيه يقول داغر: «وكان خطيباً مِصقَعاً»[٢].

وسبق فيه قول الطنطاوي، ويذكر من هؤلاء المؤثّرين في ذهنيته الشيخ عبد الرحمن سلام البيروتي: «إنّه أطلق مَن عَرفتُ لساناً، خطيبٌ متدفّق»[٣].

ويذكره أيضًا في مذكراته فيقول: «في تلك السنة قرّر المؤتمر السوري الذي كان يُمثّل سورية ولبنان وفلسطين، نصب الأمير فيصل ملكاً، وكان تتويجه يوم ٨ آذار ١٩٢٠. وطالما كتبتُ بعد ذلك اليوم في ذكرى هذا اليوم. . . . . .

---

(١) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

(٢) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٤٩.

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم، تأليف محمد المجذوب، الرياض: دار الشواف، ط٤، ٣/ ١٩٢.

الذي رأيتُه في هاتين السنتين بقيت حلاوة طعمه تحت لساني، كنتُ أظنّ أنّ دمشق في فرحة متصلة، في عرس لاينتهي، المظاهرات مظاهراتُ فرح، والحماسة التي عمّت الجميع، وسوق عكاظ للخطب في النادي العربي، وكان في الركن الغربي، من ملتقى طريق الصالحية والطريق إلى بيروت، أمام فندق فيكتوريا، ولقد كتبتُ عنه كثيراً، وحدّثتُ عنه كثيراً، وكان أبرز خطبائه كما أذكر الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، كان يخطب كأنّه يتحدّث، لايفعل ولكن يفعل بالسامعين ما يشاء، يقيمهم ويُقعدهم، ويلعب بمشاعرهم وبقلوبهم، ومن خطبائه شيخنا عبد الرحمن سلام، وسيأتي عنه الكلام، ورجل نصرانيّ اسمه حبيب أسطفان[١] خطيب نادر المثال»[٢].

(١) الدكتور حبيب أسطفان: من أشهر خطباء بلاد الشام حيث لقب بـ (ميرابو الشرق)، ولد في قرية (بتاتر) بقضاء الشوف في لبنان عام ١٨٨٨ وحصل على شهادة الدكتوراه في العلوم والفلسفة من روما، وبعد عودته عيّن في كاتدرائية مار جرجس، فلمع نجمه بخطبه الرنانة، وبعد انسحاب الأتراك من دمشق يمّم أسطفان وجهه شطر دمشق ليساهم مع إخوانه العرب في تأسيس الدولة الحديثة، وألقى أسطفان عشرات الخطب التي أضرمت الحماس في قلوب سامعيه وندد بالفرنسيين الذين أشيع أنهم سيدخلون سورية قسراً، ومن أشهر خطبه تلك التي حضرها الأمير فيصل الأول ويفيض ما شاءت له بلاغته، ويترنم بأن لبس العباءة وعينه قريرة بالحرية أحب إليه، وأنشد فيها يقول:

ولبس عباءة وتقرّ عيني أحبّ إلي من لبس الشفوف

فنهض الأمير فيصل وخلع عباءته المقصّبة بالذهب وألبسها للدكتور حبيب أسطفان، وبعد دخول الفرنسيين لدمشق غادرها أسطفان وانتقل إلى مصر ومنها توجه إلى (كوبا) وذاع صيته في الأمريكتين فدعي لإلقاء الخطب والمحاضرات، وقد أطلق عليه الأرجنتينيون لقب (أمير المنابر) ثم توجه إلى (البرازيل) وأقام فيها حتى وفاته عام ١٩٤٦، من أثاره: وجدان بلا سياسة. " أعلام الخطابة في بلاد الشام"، بحث بشار منافيخي، في موقع أدباء الشام.

(٢) ذكريات علي الطنطاوي، جدة: دار المنارة، ط٢، ١٤٠٩=١٩٨٩م، ١/ ٦١.

ويقول الطنطاوي في مقدمة كتاب «مكتب عنبر» للقاسمي: «لقد كان أول درس حضرناه في مكتب عنبر للشيخ عبد الرحمن سلام فاستقبلنا رحمة الله عليه بخطبة رنانة أعلن فيها أنه غدا منذ ذلك اليوم مع قيام الدولة العربية مدرسًا للعربية حقا. ذلك أن من كان قبلنا من التلاميذ قد درسوا في العهد التركي فنشؤوا إلا من عصم الله على ضعف بالعربية، ومن كان معنا درسوا في العهد العربي فكانوا أقوى ملكة وأقوم لسانًا. رحمة الله على شيخنا عبد الرحمن سلام فلقد كان نادرة الدنيا في طلاقة اللسان، وفي جلاء البيان. ولقد عرفتُ من بعده لُسُن الأدباء ومصاقع الخطباء، فما عرفتُ لساناً أطلق ولا بياناً أجلى، ولستُ أنسى خطبته حينما أطلّ من شرفة النادي العربي قبل ميسلون على بحر من الخلائق تموج موجان البحر قد ملأ ما بين محطة الحجاز والمستشفى العسكري في بوابة الصالحيّة وسراي الحكومة وحديقة الأمة المنشيّة وكبّر تكبيرة ردّدتها معه هذه الحناجر كلّها وأحسسنا كأن قد رددتها معه هذه الخمائل من الغوطة والأصلاد من قاسيون، ثم صاح صيحته التي لا تزال ترن في أذني من وراء ثلاث وأربعين سنة، كأنّي أسمعه يصيح بها الآن: غورو لن تدخلها إلا على هذه الأجساد»[1].

وقال أيضًا في كتابه «دمشق: صور من جمالها وعبر من نضالها»: «وإنّا لسادرون في أفراحنا، ممعنون في مسرّاتنا، مزهوون باستقلالنا، وإذا بنا نسمع الصريخ يصرخ في الحمّى، ونرى الخطباء، يقومون في الأسواق ينذرون الناس خطباً داهماً، وشرّاً مقبلاً، ولم ندر نحن الفتية الصغار ماذا جرى؛ فسألنا: هل عاد جمال باشا؟ هل رجعت مشانقه؟ قالوا: لا، جاء ما هو شرّ منه وأمرّ، (غورو)، قلنا: وما غورو؟ قالوا: الأعور. فاعتقدنا أنّه الأعور الدجال الذي يظهر في آخر الزمان!

(١) مكتب عنبر، ظافر القاسمي، ص ١٧.

ورأينا الدنيا تقوم وتقعد، ففي كلّ مكان حشد، وعلى كلّ منبر خطيب، وعجّت الشوارع بالناس، ولم نكن نفهم ما يجري من حولنا، وإن كنّا نسعى في أعقاب الناس متسائلين مشاركين ما استطعنا، ثمّ رأينا الجموع تمضي إلى النادي العربي.

النادي العربي الذي كان مثوى الوطنيّة، وكان لنا نحن الصغار المنار الهادي، من خطبه تعلّمنا الخطب، ومن بيانه قبسنا البيان، ومن رجاله عرفنا الرجال، هذا النادي الذي خان أهله عهده، وهدروا مجده، وقعدوا به بعد العزّ، ونسوه بعد أن كان هو الذي يذكرهم أوطانهم، فغدا ويا خجلتاه حانة، أو شيئاً يشبه الحانة، يُقال له شهرزاد.

مضت الجموع إلى النادي يموج بعضها في بعض، ومضينا نتبعهم، حتّى إذا وقفوا أطلّ عليهم من شرفته أخطبُ خطيب عرفتُه، وأطلقُه لساناً، وأشرفه بياناً، وأشدّه على القلوب سلطاناً، شيخنا الشيخ عبد الرحمن سلام البيروتي الشاعر الفقيه رحمه الله وسيّر في الناس طيّبة ذكراه، أطلّ على بحر من البشر يزخر بأقوام برزوا للموت، يدفعون المغير عن الحمى، ويجمعون الذمار، فامتلأْ بهم ما بين المستشفى العسكريّ، ومحطة الحجاز، وميدان الشهداء، وحديقة الأمّة، ولم يبق في تلك الرحاب كلّها موطئ قدم، أطلّ فلمّا رأى الناس استعبر وبكى، وخطب خطبة إذا قلتُ قد زلزلت القلوب أكون قد أقللت، وإن قلت ألهبت النفوس لا أكون قد بلغت، خطبة لو كانت بلاغة بشر معجزة لكانت من معجزات البلاغة، خطبة ما سمعت مثلها، وقد سمعت ملوك القول، وفرسان المنابر، حملتني هذه الخطبة إلى آفاق المستقبل، فنسيت أنّي تلميذ صغير، ورأيتني رجلاً، ثمّ صبّت البطولة في أعصابي، فأحسست أنّي كفؤ (لغورو)، وجيشه العادي، أردّه وحدي، وكبرت في نفسي حتّى صغر هذا الأعور الدجال، الذي خافوه وخوّفونا منه؛ فلم يعد شيئاً.

وإنّي لا أزال أحفظ منها قوله عليه رحمة الله وقد سكت لحظة وهو يخطب، وسكت النّاس حتّى لو أنّك ألقيت إبرة على بساط لسمعت لها صوتاً، ثمّ ولّى وجهه تلقاء المغرب، وصرخ من قلبه الكبير صرخة لا تزال إلى اليوم تدوي في مسمعي: «غورو! لن تدخلها إلا على هذه الأجساد»، وأعقبتها صرخة أخرى، تقلقل لها الفلك، ورجف الكون، تكبيرة واحدة انبعثت من أربعين ألف حنجرة مؤمنة!

أمّا نحن فمضينا إلى بيوتنا، فما كان فينا من بلغ سنّ القتال»[1].

(١) دمشق: صور من جمالها وعبر من نضالها، علي الطنطاوي، دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٧=١٩٨٧م، ص٧٥-٧٦.

الشيخ عبد الرحمن سلام في بيروت (١٩٠٠-١٩١٦)

رئاسته للكتّاب في المحكمة الشرعية في بيروت (١٩٠٠):

انتقل الشيخ سلام بعد توليه قضاء قلقيلية (من الفترة ١٨٩٦ حتى ١٩٠٠) فيما بعد إلى بيروت ليتولى رئاسة الكتّاب في المحكمة الشرعية في بيروت[١]، بيد أنّ عمله في هذه المحكمة لم يدم طويلاً، وذلك أنّه استقال منه على أثر مشادة كلاميّة بينه وبين القاضي التركي[٢].

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ، مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢، ج٣/ قسم١/ ص ٥٤٩، الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام)، عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

(٢) موقع يابيروت.

ولا نعلم العمل الذي قام به الشيخ في بيروت حتى رجوعه إلى فلسطين في العام ١٩١٦؛ ولعلّه كان متفرّغاً لحلقات العلم ومجالسة العلماء، والراجح أنّ تأسيسه للمدرسة العلميّة كان في هذه الفترة.

تأسيسه المدرسة العلميّة

كان للشيخ سلام رغم ضيق ذات يده إسهام في تأسيس معلم تربويّ كما يرجوه كلّ مربّ وعالم. فقد عرفت بيروت في العهد العُثماني الكثير من المؤسسات التربويّة الخاصة والعامة، كما عرفت بيروت في القرن التاسع عشر تأسيس كليتين أو جامعتين، كما بيّنّا. وانتشرت المدارس العُثمانيّة في مختلف مناطق بيروت، وكانت المدارس العُثمانيّة تنقسم إلى ثلاث مراحل وهي: الابتدائيّة، والرشديّة، والعالية. كما باشرت بعض الجمعيات الإسلاميّة ما بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بتأسيس عدد كبير من المدارس إلى جانب المدارس والمكاتب العُثمانيّة الموجودة في بيروت.

ومن بين هذه المدارس: مدارس جمعيّة المقاصد الإسلاميّة، والمدرسة الإسلاميّة الحديثة، ومدرسة الشيخ عبد الباسط الأنسي، والمدرسة العُثمانيّة، ثم الإسلاميّة لمؤسسها الشيخ أحمد عباس الأزهري، والمدرسة التوفيقيّة الإسلاميّة لمؤسسها الشيخ محَمّد توفيق خالد، **والمدرسة العلميّة لمؤسّسها الشيخ عبد الرحمن سلام**[١].

(١) الحياة الثقافيّة في بيروت في العهد العُثماني، نقلاً عن موقع: يابيروت، وموقع: ضفاف.

الشيخ عبد الرحمن سلام في فلسطين

نشط المترجم في فلسطين في مطلع شبابه، فعمل فيها قاضياً، ومدرّساً، ومربّيًا، كما نشط اجتماعيًّا وتربويًّا؛ فأسّس جمعيّة لتعليم فقراء الأيتام، ولم يمكث في فلسطين فترة متواصلة، بل كان يرجع إلى بيروت بعد انتهاء مهمّته، ذلك أنّ التواريخ تُظهر لنا وجوده فيها: من عام١٨٩٦حتى عام ١٩٠٠، ثمّ رجع إلى بيروت، ثم زارها سنة ١٩١٠، ثمّ وفد إليها من عام ١٩١٦ حتى ١٩١٨م.

وهذه التواريخ التي استطعنا تحديدها كانت بناء على الوظائف والنشاط الذي أدّاه فيها؛ والتي يُمكن تحديدها كما يلي:

عمله في قضاء قلقيلية (١٨٩٦-١٩٠٠)م:

استطاع الشيخ عبد الرحمن سلام أن يثبت نفسه بين علماء عصره، إذ عندما أصبح في الخامسة والعشرين من عمره تولّى القضاء الشرعي في مدينة قلقيلية[١] في فلسطين لمدة خمس سنوات (١٨٩٦-١٩٠٠)[٢].

(١) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢، ج٣/ قسم١/ ص ٥٤٩، الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٢٠٣.

(٢) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية

تأسيس جمعية السلام لتعليم فقراء الأيتام (١٩١٠)م:

رأس الشيخ عبد الرحمن سلام «جمعية السلام لتعليم فقراء الأيتام» حيث أسهم الحاج رشيد رمضان والحاج خليل عبد العال بتأسيسها، وذلك في العام ١٩١٠م[١].

تدريسه في المدرسة الصلاحيّة في القدس: (١٩١٦-١٩١٨)م

في سنة ١٩١٥م، والعالم يصطلي أتون الحرب العالميّة الأولى أمر أحمد جمال باشا قائد الجيش العثماني باستعادة المدرسة الصلاحيّة في القدس، والتي جعلها صلاح الدين الأيوبي لمّا حرر القدس سنة ٥٨٣هـ مدرسة لعلماء المذهب الشافعيّ.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي تنازل الأتراك عنها للآباء الفرنسيين مقابل وقوف فرنسة إلى جانبهم في حرب القرم، وكانت هذه المدرسة في الأساس تحمل اسم كنيسة القديسة حنّة؛ فأعاد إليها أحمد جمال باشا اسمها القديم، أي المدرسة الصلاحيّة، وجعلها لتعليم العلوم الدينيّة الإسلاميّة[٢]،

= والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.، عبد الرّحمن سلام، الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة (عبد الرحمن سلام)، تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٨، وعبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

(١) محمد عبد الله بيهم: الصارخ المكتوم ١٨٤٧-١٩١٥: المدارس ومناهج التعليم في بيروت في القرن التاسع عشر، تأليف عبد اللطيف فاخوري، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر، ٢٠٠٨.

(٢) موقع يا بيروت؛ وفيه: ولما احتلّ الإنكليز سنة ١٩١٧م سلموا هذه المدرسة إلى =

وعهدوا بها إلى عبد العزيز جاويش.

وفي عام ١٣٢٥هجرية/١٩١٦م اختار أحمد جمال باشا الشيخ عبد الرحمن سلام أستاذاً للغة العربية وآدابها فيها، وكان من زملائه من الأساتذة إسعاف عثمان النشاشيبي، ورستم حيدر[١].

وفي حينها رأى القائد العُثماني جمال باشا الصغير الذي خلف أحمد جمال باشا منصبه أن يغلق هذه المدرسة ويسفِّر أساتذتها وطلابها إلى خارج فلسطين.

وحدث أن اشتبه القائد جمال باشا الصغير والأتراك من جماعة الاتّحاد والترقّي بأنّ الشيخ عبد الرحمن سلام يعمل من أجل الدعوة للعروبة، وأنّه ألّف جمعية تدعو لإنشاء دولة عربيّة موحّدة، وكان في تلك الأثناء يُسهم في الدعوة إلى قيام الدولة العربية، ويحثّ طلابه على العمل بذلك للتخلص من حكم الأتراك.

فأمر بأن يُبعد إلى دمشق ماشياً على قدميه مخفوراً وموثوق اليدين، فسيق الشيخ على نحو ما طلب ذلك القائد حتى إذا ما وصل إلى قرية العفولة رآه القائمقام فيها فعرفه، وأمر بفكّ القيد عن يدَيه وأكمل تسفيره إلى دمشق حيث وُضع سجيناً في قلعتها، وسرعان ما توالت الأحداث العسكريّة التي أدّت إلى انسحاب القوات العُثمانيّة من دمشق وسائر المناطق السوريّة[٢].

= الآباء البيض، الذين جعلوها مدرسة لاهوتيّة نصرانيّة وجعلوا منها متحفاً وكنيسة لهم".

(١) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢، ج٣/ قسم١/ ص ٥٤٩.

(٢) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ، وموقع يابيروت.

قالت عنه زينب مرعي: «كان عبد الرحمن سلام، المدير الثائر «للكليّة الصلاحيّة» في القدس، قبل أن يصير مفتي لبنان[١]، وينجو بأعجوبة من مقصلة الحاكم العثماني»[٢]. وصادف ذلك دخول الأمير فيصل إليها في ٣/ ١٠/ ١٩١٨، فأفرج عنه، وجعله من مستشاريه[٣].

(١) لم يصبح الشيخ سلام مفتياً للبنان، وإنّما كان أمينًا للفتوى فحسب، وسيأتي بيان ذلك وتفصيله.

(٢) موقع جريدة الأخبار اللبنانية: تشرين الثاني ٢٠١٢.

(٣) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٨، عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢، الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام).

الشيخ عبد الرحمن سلام
في دمشق
(١٩١١-١٩١٤)

الشيخ عبد الرحمن سلام الورّاق

بعد أن أصدر في بيروت بتاريخ ٥/٨/ ١٩١١م جريدة فكاهية أسبوعية بعنوان «القلم العريض»، ما لبث الشيخ أن أغلقها وانتقل لأسباب عائلية إلى دمشق.

وتوجّه في عام ١٩١٢ إلى دمشق منتقلاً من بيروت إلى دمشق ومعه زوجتاه سعدى البدويّة وبنت النحاس وأولاده. وفي دمشق بدأ يعمل في ميادين التدريس والخطابة والإمامة، وافتتح فيها متجرًا لبيع الكتب والمخطوطات، واتخذ سوق الخُجا مقابل باب القلعة الغربي مقرّاً لتجارته الجديدة[١].

(١) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

قال الزركلي: «وانتقل إلى دمشق فافتتح دكانًا يبيع بها كتبه وغيرها»[١]، وفي محلّه هذا تعرّف المترجم على طبقة مهمة من علماء دمشق ووجهائها وأعيانها. إذ رأوا فيه أنّه يمكن الإفادة منه في العمل المدرسيّ؛ فعرضوا عليه أن يكون معلّماً للغة العربيّة في الكليّة الوطنيّة في مدينة حمص التي كانت بإدارة مجموعة التملّي، فانتقل الشيخ عبد الرحمن إلى عمله في حمص.

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧، ٣/ ٣٠٢.

الشيخ عبد الرحمن سلام في حمص (١٩١٤-١٩١٦)

بعد أن وقعت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، انتقل إلى حمص وعُيّن أستاذاً للأدب العربي في الكلية الوطنية بحمص[١]. واصطحب معه زوجته بنت النحاس أم محيي الدين، فأفاد الطلاب منه جليل الفوائد، وكان يغرس في نفوسهم حبّ الوطن وتمجيده كما أشار إلى ذلك أدهم الجندي مؤلّف كتاب «أعلام الأدب والفن» وكان من جملة طلابه في حمص[٢]. بينما بقيت زوجته الأولى سعدى البدويّة في دمشق إلى حين وفاتها[٣].

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧، ٣/ ٣٠٢، عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢، الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام).

(٢) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢، ج٣/ قسم١/ ص ٥٤٩، تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٨، وعبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

(٣) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية

وفي عام ١٣٢٥هجرية/ ١٩١٦م ترك حمص بعد أن اختار أحمد جمال باشا الشيخ عبد الرحمن سلام أستاذاً للغة العربية وآدابها في المدرسة الصلاحيّة بالقدس كما بيّنّا وبقي فيها حتى العام ١٩١٨م.

= والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ، وموقع يابيروت.

الشيخ عبد الرحمن سلام
في دمشق
(١٩١٨- ١٩٢٥)

عندما دخل المترجم دمشق مرّة ثانية للإقامة فيها تمّ تعيينه مميّزاً (مديراً) لأوقاف سورية، وشارك بتأسيس النادي العربي، والتدريس في مكتب عنبر ومدرسة التجهيز وفي دار المعلمين في دمشق (١٩١٩- ١٩٢٥)، وانتُخب عضواً في المجمع العلميّ العربيّ بدمشق (١٩٢١- ١٩٤١)، وكان علماء دمشق قد عرفوه من قبلُ، وذلك في إقامته الأولى بها، لكنّ هذه الفترة ميّزته بأنّه كان من أبرع أساتذتها، وأقوى خطبائها، وأعلمهم بالكتب.

تأسيس النادي العربي بدمشق:

انتهت الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٨ م، وانسحبت القوات العثمانية من دمشق، فدخلها الشريف فيصل بن الشريف حسين والقوات البريطانية في ٣/ ١٠/ ١٩١٨، ، فأطلق سراح الشيخ عبد الرحمن سلام[١]،

(١) سُجن الشيخ سلام بعد أن جيء به من فلسطين حيث ادّعى الأتراك من جماعة الاتحاد والترقي بأنّه يعمل من أجل الدعوة للعروبة، وأنه ألّف جمعية تدعو لإنشاء دولة عربية =

بعد أن سيق مشياً على الأقدام من القدس إلى دمشق[١]، ووضع سجيناً في قلعتها[٢]. وحدث آنذاك أن قدّمه ساطع الحصري أوّل وزير للمعارف أيام الشريف فيصل بن الحسين إلى الشريف المذكور الذي أُعجب بحماسته العربيّة ولهجته الخطابيّة، فسأله عن العمل الذي يريده فأجابه بأنه يرغب في تأسيس النادي العربي وأن يكون خطيباً فيه فاستجاب الشريف فيصل لطلبه هذا، وما زال النادي العربي موجوداً في دمشق من ذلك الحين حتى اليوم.

والنادي العربي بدمشق معلم فكري وقومي من معالم دمشق، ولعلّه أول مؤسسة عربية نادت وعملت للوحدة العربية، شهد منذ نشأته الأولى أحداثاً تاريخية حاسمة في حياة سورية، وللوقوف على أهم محطات هذا النادي نبيّن أنّه: «تأسّس بدمشق عام ١٩١٨ مع إعلان قيام حكومة الأمير فيصل العربية، بعد تحرر سورية من الحكم العثماني، وقد عمل النادي منذ أيامه الأولى على تجميع القوى الوطنية والقومية والارتقاء بها وإعداد الشباب العربي الواعي لمسؤوليات الحكم المنشود، وهو قيام الدولة العربية وتوطيد الاستقلال الوطني، وكشف الخطر الصهيوني ومطامعه اللئيمة في أرض فلسطين المقدسة»[٣].

= موحدة، وكان في تلك الأثناء يسهم في الدعوة إلى قيام الدولة العربية، ويحث طلابه على العمل بذلك للتخلص من حكم الأتراك حتى جيء به مخفوراً إلى دمشق بأمر جمال باشا السفاح، لذا سيق مشياً على الأقدام إلى دمشق، ووضع سجيناً في قلعته. انظر ذلك في فقرة (تدريسه في المدرسة الصلاحية في القدس) من هذا الكتاب.

(١) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢، ج٣/ قسم١/ ص ٥٤٩.

(٢) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

(٣) **لمحة تاريخية عن النادي العربي**: يقوم النادي العربي بدمشق قرب موقع جسر =

. . . . . .

= فيكتوريا مطلّا على مجرى بردى ومواجهًا لمحطة الحجاز ويمرّ آلاف الأشخاص من قربه كل يوم لكن القليل منهم يعرف تاريخه. فالنادي العربي له في التاريخ صفحات مشرفة ومشرقة في العمل الوطني بجوانبه السياسية والاجتماعية والثقافية حيث تبدأ مع تأسيسه الأول المتزامن لاستقلال سورية عن الدولة العثمانية وتستمر مع تأسيسه الثاني أواخر الثلاثينيات وحتى يومنا هذا. وقد نشر الترخيص للنادي العربي في السابع من حزيران عام ١٩١٩م.

وأهم وثيقة في هذا المجال افتتاح الملك فيصل المؤتمر السوري في قاعة النادي العربي بدمشق وبعد دخول الفرنسيين إلى البلاد توقف النادي عن العمل وانتهت مرحلته الأولى وفي الخامس عشر من شهر شباط عام١٩٣٧م أعيد تأسيسه تحت شعار القومية العربية الشاملة والدعوة للوحدة والبعد عن الأحزاب، وحدّد النظام الأساسي هوية وغاية النادي في المادة الثالثة منه وهي: "إحياء تاريخ العرب ومجدهم وتحقيق وحدتهم ونشر الثقافة والسعي إلى كل ما يفيد العرب وينهض بهم قوميًا وثقافيًا واجتماعياً واقتصاديًا " وكان أول مؤسسة عربية نادت وسعت للوحدة العربية الشاملة. وآخر ما قام به النادي العربي وقوفه في وجه السلطة الفرنسية عام١٩٣٩م. ووضع خطة لإسقاط حكومة مجلس المديرين ولكن خيانة أحد الأفراد واتصاله بالسلطة استطاع الفرنسيون أن يفاجئوا القائمين بها وقد أحيلوا جميعًا إلى محكمة عسكرية حكمت على بعضهم بالإعدام. وعلى آخرين بالسجن لمدة طويلة وقد داهم الفرنسيون مركز النادي العربي وأغلقوه بالشمع الأحمر. (موقع أعضاء وأصدقاء النادي العربي).

وأصدر المجلس العسكري الحربي الملتئم بدمشق بتاريخ ٩ آب عام ١٩٢٠ باتفاق الآراء وبعد سماع مقررات وادعاءات المفوض العسكري حكماً على: عبدالقادر سكر، شكري الطباع، أحمد قدري، خير الدين الزركلي، توفيق فرج، خليل بكر ظاظا، رياض الصلح، عمر بهلوان، حسني مفرج، سليم عبد الرحمن، عمر شاكر، عادل أرسلان، عثمان قاسم، توفيق اليازجي، بهجت الشهابي، رفيق التميمي، محمد علي التميمي"، وتضمن الحكم عقوبة الإعدام ومصادرة جميع الأملاك»".

انظر: مروان مراد: النادي العربي بدمشق... قصة الولادة وبدايات الفكر العربي: (موقع دمشق) على الشابكة.

ومن شرفة النادي أطلّ الشيخ عبد الرحمن سلام خطيباً كما سبق قول الطنطاوي عنه: «ولست أنسى خطبته حينما أطلّ من شرفة النادي العربي، قبل يوم من ميسلون على بحر من الخلائق، تموج موجان البحر، قد ملأ ما بين محطة الحجاز، والمستشفى العسكري في بوابة الصالحية الخسته خانة، وسراي الحكومي، وحديقة الأمة المنشية. وكبر تكبيرة رددتها معه هذه الحناجر كلها، وأحسسنا كأن قد رددتها معه هذه الخمائل من الغوطة، وأصلاد من قاسيون، ثم صاح صيحته التي لا تزال ترنّ في أذني من وراء ثلاث وأربعين سنة، حتى كأنّي اسمعه يصيح بها الأن: غورو، لن تدخلها إلّا على هذه الأجساد»[١].

الشيخ عبد الرحمن سلام والأوقاف السورية (١٩١٩)م:

عُيّن الشيخ عبد الرحمن سلام مميزاً (مديراً) لأوقاف سورية، وذلك بعد دخوله دمشق في عهد الحكومة العربية في العام ١٩١٩م[٢]، بتوجيه من الملك فيصل، واتّخذه مستشاراً له[٣].

(١) مكتب عنبر، ظافر القاسمي، ١٧.

(٢) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، ومصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢، ج٣/ قسم١/ ص ٥٤٩، وعبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢، الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام).

(٣) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ. وموقع يابيروت.

تدريسه في مكتب عنبر ومدرسة التجهيز وفي دار المعلمين في دمشق (١٩١٩- ١٩٢٥):

يقوم مكتب عنبر في قلب دمشق القديمة؛ فإلى الجنوب منها يمتد الطريق من باب الجابية وإلى اليسار إلى باب شرقي الذي كان يطلق عليه في الماضي «الطريق المستقيم»، وفي منتصف الطريق وإلى اليسار زقاق ضيّق يوصل إلى معلم عمراني عريق، تشير إلى المكتب لوحة رخامية على البوابة الرئيسة: مكتب إعدادية ملكية، وفي أعلاها الطغراء السلطانية.

يذكر المؤرخ نعمان القساطي في كتابه «الروضة الغناء في دمشق الفيحاء»: «إن دار يوسف أفندي عنبر موقعها في حي المنكنة وقد بُدئ ببنائها عام ١٨٦٧، وقد وضعت السلطة العثمانية يدها على الدار مقابل دين على صاحبها عنبر وأكملت بناءها».

لقد وفد طلاب دمشق إلى المكتب من كلّ أحياء المدينة، وتلقوا فيه التعليم بداية حتى الصف التاسع، وما لبث أن امتدّ إلى الصفّ الحادي عشر، وعندما أُطلق على المعهد اسم«سلطاني مكتبي» أي المدرسة السلطانية، وكان التعليم فيه باللغة التركية إذ كانت هيئة الإدارة والتدريس كلها من الأتراك، ناف عدد الطلاب يومها على ستّمئة طالب، يحصلون فيه علوم القرآن الكريم، والعلوم الدينية، والفقه، واللغة العربية، وترجمة اللغة التركية، واللغة الفارسية، وعلم الثروة «الاقتصاد»، وعلم الجغرافيا والفلك، وتاريخ وجغرافية الدولة العثمانية، والحساب والجبر، والزراعة، والكيمياء والفيزياء والميكانيك، وأصول مسك الفاتر، وحسن الخط، والرسم.

وفي عهد الحكومة العربية حين خرج العثمانيون، وفي ظل حكومة الملك «فيصل العربية» عام ١٩١٩، كان مكتب عنبر في مقدمة المؤسسات التي تمّ تعريبها، فاختيرت له كوكبة من المربّين العرب منهم الشيخ عبد القادر

المبارك، وجودت الهاشمي، ومحمد البزم، وكامل نصري، وعبد الرحمن سلام، ومحمد الداودي، ومحمد علي الجزائري، ورشيد بقدونس، وشكري الشربجي، وأبو الخير القواص، وسليم الجندي، ومسلم عناية، وجميل صليبا، وجودت الكيال، ويحيى الشماع، وعاصم البخاري، وكان لهم الباع الطويل في محو الآثار التركية، وإذكاء الروح العربية، وبعث التراث العربي، وسمي المكتب آنذاك «مدرسة التجهيز» و«دار المعلمين».

وكان أول مدير عربي للمعهد بعد الحرب العالمية الأولى هو الضابط المتقاعد شريف رمو، ثم خلفه مصطفى تمر، فجودت الهاشمي، فمحمد علي الجزائري، فعبد الحميد الحراكي، فشكري الشربجي، وتمّ في عام ١٩٣٥ تأهيل مجموعة من المعلّمين المؤقّتين وتدريسهم أصول التربية والتعليم وعلم النفس؛ فأُحدث في المكتب صف سُمّي صف «التعليم العالي» عُيّن له الدكتور خالد شاتيلا مديراً، وتمّ في العام نفسه إنجاز مبنى مدرسة التجهيز «ثانوية جودت الهاشمي» اليوم فنقل إليه طلاب مكتب عنبر، الذي تحول بعد ذلك إلى مقر لقصر الثقافة العربية، تقام فيه الندوات الثقافية والمعارض الفنية.

وعندما وقعت معركة ميسلون كان طلاب مكتب عنبر في عطلتهم الصيفية، وعندما انصرفت العطلة واستؤنفت الدراسة كانت فاجعة ميسلون، وانهيار الدولة الفتية، واحتلال البلاد من المستعمر الفرنسي، ونكوص الحلفاء عن وعودهم باستقلال البلاد العربية التي قطعوها لشريف مكة، فلم يكن من حديث بين الطلاب إلا الفاجعة وآثارها وسبيل الخلاص منها، ولم يبدأ ذلك همساً كما كان متوقعاً، وإنّما بدأ بأصوات مجلجلة عالية بين الطلاب أنفسهم، وبين الطلاب وبعض أساتذتهم، لا بل دفعت الحماسة بعض الأساتذة إلى أكثر من الحديث، فقد تهيب الفرنسيون «مكتب عنبر» ولم يُدخلوا إليه أستاذاً فرنسياً إلا عام ١٩٢٤، وتلك ظاهرة تستحق التسجيل، لأنّ

«فرنسا» قد جاءت بمستشاريها إلى دوائر الدولة ووزاراتها منذ اليوم الأول للاحتلال.

ويروي الباحث مطيع المرابط: «إنّ المرارة المكبوتة لغياب الجيش الوطني عن البلاد بعد معركة ميسلون، ولاحتلال البلاد من عدوّ غادر غاصب، دفعت «شلة» من طلاب «مكتب عنبر» لتأليف فرقة كشفية لم تكترث بقرار المفوض السامي بإلغائها بل اتصلت بالشاعر «سليم الزركلي» الذي نظم نشيداً لميسلون لحّنه «فائز الأسطواني».

وكتب الأستاذ ظافر القاسمي في مؤلّفه «مكتب عنبر»: عام ١٩٢٥ مرّ بلفور بدمشق، إنه صاحب الوعد المشؤوم بإهداء فلسطين إلى اليهود، يوم كان وزيراً لخارجية «بريطانيا»، كنتُ يومئذ في مدرسة التطبيقات الملحقة بمكتب عنبر وقد باكرتُ المدرسة منذ الصباح، فوجدتُ بعض الرفاق قد سبقني إليها وتجمّعوا يحدّث كبيرهم صغيرهم، وعالمهم جاهلهم عن بلفور ووعده، وما زلتُ أذكر أنّ طلاب مكتب عنبر قد اقتحموا مدرسة التطبيقات وعطلوا فيها الدروس وضمّونا إليهم، وأخذ واحد منهم يحدّثنا عن شرور هذه الجريمة النكراء، ويندّد بآثام القوّة ويدعو للإضراب والتظاهر، فخرجت المظاهرة وانضمّ إليها الناس سريعاً وكأنهم كانوا يترقبونها، وانقسمت المظاهرة إلى قسمين قصد أحدهما الجامع الأموي، وأكره سدنته على إغلاق أبوابه جميعاً لأنه قد شاع أن «بلفور» سيزور الجامع فأراد الطلاب من ذلك الحيلولة دون أن يدنس هذا المكان المقدس بزيارته وألغيت الزيارة فعلاً.

وأما ثانيهما فقد انطلق في الشوارع والأسواق وكنتُ بين رفاقي الطلاب، فأسفت بجهل العامة سبب التظاهر، كانت نداءات الطلاب وهتافاتهم تشق عنان السماء، تردّد: «فلسطين عربية فليسقط وعد بلفور»، وكان العامة يردّدون هذه الهتافات على النحو الذي استطاعوا ترديده.

إن هؤلاء العامة وثقوا بأبنائهم طلاب مكتب عنبر، لأنهم لا يتظاهرون إلا لأمر وطني يعود على البلد كله بالخير ولأنهم لا يحتجون إلا على ظلم نازل بالناس فلا جناح عليهم أن يرددوا ما يبدو لهم صواباً أو خطأ، ويكفي أنهم قد أغلقوا متاجرهم ودكاكينهم وخرجوا من بيوتهم ليشاركوا في هذا التظاهر الوطني، ذلك فضلٌ لمكتب عنبر على الحركات الوطنية في البلاد».

لقد كان مكتب عنبر أول من نبه الناس إلى مأساة فلسطين، وأول من علّم الناس من هو بلفور ووعده[١].

في هذه البيئة، البيئة العلميّة والوطنيّة، وبتاريخ ١/ ١٠/ ١٩١٩م=١٣٨٥هـ تمّ تعيين الشيخ عبد الرحمن سلام أستاذاً للغة العربية وآدابها، ولعلم البلاغة والعروض في «مكتب عنبر» وفي مدرسة التجهيز، وفي دار المعلمين في دمشق، وظلّ قائماً بتدريس هذه المواد حتى ١٦/ ١/ ١٩٢٤م= ١٣٤٣هـ[٢].

(١) انظر: مكتب عنبر، ظافر القاسمي، بيروت: المطبعة الكاثوليكيّة، ونور ونار في مكتب عنبر، جواد المرابط، وموقع دمشق، مكتب "عنبر" . . . جامعة أيام زمان، شيار خليل، الخميس ٢٨ تشرين الأول ٢٠١٠، وموقع (سوريا الإلكتروني) على الشابكة.

(٢) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢، ج٣/ قسم١/ ص ٥٤٩، ،أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، وتاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٨، وعبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢، الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام)، وموقع يابيروت،وحسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ، ورد فيها أنّ التاريخ كان ١٩٢٩ والصواب ما أثبتناه.

وعن أوّل درس له قال تلميذه الطنطاوي واصفاً الشيخ المترجم وأقرانه من أساتذة المكتب: «أتكلّم اليوم عن أساتذتي في مكتب عنبر، لقد كان أول درس حضرناه في مكتب عنبر للشيخ عبد الرحمن سلام، البيروتي، فاستقبلنا رحمة الله عليه بخطبة رنّانة أعلن فيها أنه غدا منذ ذلك اليوم مع قيام الدولة العربية مدرّساً للعربية حقًّا. ذلك أنّ من كان قبلنا من التلاميذ قد درسوا في العهد التركي، فنشؤوا -إلا من عصم الله - على ضعف بالعربية، ومن كان معنا درس أكثرهم في العهد العربي، فكانوا أقوى مَلَكةً، وأقوم لسانًا»[١]. «رحمة الله على الشيخ سلام، فلقد كان نادرة الدنيا، في طلاقة اللسان وفي جلاء البيان. ولقد عَرَفتُ بعده لُسُن الأدباء ومصاقع الخطباء، فما عرفتُ لساناً أطلق، ولا بياناً أجلى...

لقد أقام الشيخ **سلام** معنا أشهراً ثمّ عاد إلى بلده، فعُيّن أميناً للفتوى في لبنان، وجاءنا من بعده الأستاذ سليم الجندي ولما أصدرتُ أوّل كتاب لي سنة **١٩٣٠** وهو (الهيثميات) أهديته إلى روح المنفلوطي، سيد كتّاب العصر، وإلى علَمَي العربية: الجنديّ، والمبارك.

لقد ماتا وما أعرف تحت قبة الفلك، أعلم منهما بالعربية وعلومها، ولقد كانا أشد المدرسين تأثيراً في تكويني اللغوي والأدبي، رحمة الله عليهما وعلى أساتذتنا جميعاً»[٢].

ويقول أيضًا: «أمّا مدرّسو العربية فكانوا أئمتها في البلد وكانوا المرجع فيها: الشيخ عبد الرحمن سلام الخطيب الشاعر، والشيخ المبارك اللغوي الراوية، والشيخ سليم الجندي أستاذ اللغة والنحو والصرف والعروض»[٣].

(١) مكتب عنبر، ظافر القاسمي، ١٧.
(٢) ذكريات علي الطنطاوي، جدة: دار المنارة، ط٢، ١٤٠٩=١٩٨٩م، ١/ ١١٦.
(٣) ذكريات علي الطنطاوي، جدة: دار المنارة، ط٢، ١٤٠٩=١٩٨٩م، ١/ ١٢٤.

الشيخ عبد الرحمن سلام والمجمع العلميّ العربيّ بدمشق (١٩٢١- ١٩٤١)

انتُخب الشيخ عبد الرحمن سلام في الجلسة المنعقدة في ١٣ حزيران عام ١٩٢١ في المجمع عضواً مراسلاً في المجمع العلميّ العربيّ بدمشق[١]، وذلك بموجب المذكّرة رقم ٥٣، المحفوظة في إضبارته[٢].

وقد ورد ذكر الشيخ عبد الرحمن سلام أنّه من الأعضاء المراسلين، وذلك في القوائم التي كان المجمع يضعها في مجلّته، إذ كان هناك:

١- أعضاء عاملون؛ وهم، كما في «مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق»[٣]: أنيس سلّوم، وعبد القادر المغربي، وعيسى إسكندر المعلوف.

٢- وأعضاء مؤازرون، محلّ إقامتهم بدمشق.

٣- وأعضاء مراسلون، من بلدان مختلفة، ومنهم الشيخ عبد الرحمن سلام.

وذُكر في عدد آخر باسم الأعضاء الشرفيّين، وهي تسمية للأعضاء المراسلين[٤].

ورغم أنّه كان عضواً مراسلاً إلا أنّه كان يحضر اجتماعات أعضاء

(١) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص٥٥٠، والأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، والموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام).

(٢) إضبارة الشيخ عبد الرحمن سلام في مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٣) مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، سنة ١٣٤٣=١٩٢٥م، المجلّد ٥، ص٢٨، وسنة ١٣٤٤=١٩٢٦م، المجلّد ٦، ص١، وسنة ١٣٤٥=١٩٢٧م، المجلد ٧، ص١، وسنة ١٣٤٦=١٩٢٨م، المجلد ٨، ص ١٦.

(٤) مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، سنة ١٣٣٩=١٩٢١م، المجلّد ١، ص٩٢.

المجمع «مجلس المجمع» والظاهر أنّ تقاليد المجمع كانت تسمح للأعضاء غير العاملين حضور جلساته؛ فقد ورد في مجلّة المجمع العلميّ العربيّ[١] تقريرٌ عن جلسة عامّة عُقدت يوم الخميس في **٢٣** آذار **١٩٢٢** الساعة الرابعة بعد الظهر، وفيه: «اجتمع المجمع برئاسة رئيسه الأستاذ السيّد محمد كرد علي، والأساتذة الشيخ سعيد الكرمي، وأنيس أفندي سلّوم، والشيخ عبد القادر المغربي، وعيسى أفندي إسكندر المعلوف، وفارس بك الخوري، والمطران ميخائيل بخاش، **والشيخ عبد الرحمن سلام**، والشيخ عبد القادر المبارك، والدكتور مرشد بك خاطر، ورشيد بك بقدونس؛ فذكر الرئيس خلاصة أعماله عن زيارته أوربة ومدارسها ومتاحفها ودور كتبها، والاطّلاع على حركة الاستشراق العربي فيها».

ونستفيد من النص أنّ جلسات المجمع كان يحضرها الأعضاء المراسلون، فضلاً عن الأعضاء العاملين، والمراسلون الذين حضروا هذه الجلسة هم: الشيخ عبد الرحمن سلام، من بيروت، والشيخ سعيد الكرمي، من عمّان، والشيخ عبد القادر المبارك، والدكتور مرشد خاطر، والأستاذ رشيد بقدونس؛ والأستاذ فارس الخوري، من دمشق[٢]، وأمّا الأعضاء العاملون الحاضرون فهم: الأستاذ أنيس سلّوم، والشيخ عبد القادر المغربي، والأستاذ عيسى إسكندر المعلوف، وأمّا المطران ميخائيل بخاش الذي كان مطران السريان الكاثوليك، فلم تنصّ قوائم الأعضاء المذكورة في مجلّة المجمع على عضويّته إلا أنّ بعض المصادر تذكر أنّه كان عضو شرف[٣].

(١) مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، سنة ١٣٤٠=١٩٢٢م، المجلّد ٢، ص١٥٣.

(٢) استفدنا من معرفة الأعضاء العاملين والمراسلين من مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، سنة ١٣٤٣=١٩٢٥م، المجلّد ٥، ص٢٨.

(٣) كما يذكر الدكتور عبد الكريم رافق في كتابه " تاريخ الجامعة السورية: البداية والنمو: ١٩٠١-١٩٤٦ "، دمشق: مكتبة نوبل، ٢٠٠٤، في فصل إنشاء المجمع العلمي والمتحف ودار الكتب.

وقد ورد في مذكّرة خطّها يراع الأستاذ الدكتور شاكر الفحّام رحمه الله الرئيس السابق للمجمع بتاريخ ٨/ ٢/ ٢٠٠٤ موجّهة إلى أمين مجلّة المجمع في حينه الأستاذ مأمون الصّاغرجي مايلي:

«*درستُ موضوع الشيخ عبد الرحمن سلام المتوفّى سنة ١٩٤١ فتبيّن لي ما يلي:*

- كان له في البدء نشاط في المجمع؛ فألقى محاضرة عنوانها: الشعر وتأثيره في الأخلاق في ١٤ تموز ١٩٢١، المجلة ١: ٣٩٣، ومحاضرة عنوانها: الشعراء وحرفة الأدب في ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٢، المجلّة ٢: ٣٧٥، وذُكر اسمه مرّات أنّه من الأعضاء المراسلين من بيروت، المجلة ٥: ٢٨، ٦: ١، ٧: ٢، ٨: ١٦، ٩: ١٨، ٢٣.

وتكرّر ذلك مراراً حتّى المجلّد ٤٥: ١ الجزء الأوّل: ١٩٩ رقم٨٠.

وتبدّل الحال منذ صدور المجلّد ٤٦: الجزء الأول ص ١٨٤ رقم ١١ إلى الآن دون سبب.

وكنتُ رجوتُك أن تبحث هذا الموضوع لعلّك تحيط بهذا التغيّر المفاجئ.

أرجو أن يكون لك الوقتُ لتبحث هذا الموضوع، وسنتحدّث معاً في هذا الموضوع، وأرجّح أن تغيره إلى موضعه الصحيح بدءاً من العدد القادم للمجلّة في مطلع العام وهو يُعدّ الآن للنشر. لك التحيّة. دمت وسلمت.

٢٠٠٤/٢/٨

الدكتور شاكر الفحّام»[١].

(١) أصل الوثيقة لدى الأستاذ مأمون الصاغرجي، زوّدني بصورة عنها الأستاذ الدكتور مازن المبارك.

ولم تُفدنا المعلومات الواردة في إضبارته، ومجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، شيئاً عن نشاطه المجمعيّ، سواء في مجال النشر وكتابة البحوث والمقالات، أو في مجال المحاضرات، أو في مجال عضويّته في لجان المجمع العلميّة، سوى أنّه ألقى فيه محاضرتين. الأولى عنوانها: الشعر وتأثيره في الأخلاق في ١٤ تموز ١٩٢١، (المجلة ١: ٣٩٣)، والثانية بعنوان: الشعراء وحرفة الأدب في ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٢، (المجلّة ٢: ٣٧٥). ولم نجد للأسف نصوص هاتين المحاضرين ضمن المحاضرات المجمعيّة المطبوعة، أو في مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق.

الشيخ عبد الرحمن سلام بعد عودته إلى بيروت (١٣٤٤هـ= ١٩٢٥م)

بقي المترجم في دمشق حتى سنة ١٣٤٤هـ= ١٩٢٥م، وفي هذه السنة غادر دمشق عائداً إلى موطنه بيروت بسبب إلحاح زوجته بنت النحاس عليه لأنّها كانت ترغب في الإقامة ببلدها الأمّ بين أهلها وذويها[١]، فرحل إليها مع أسرته، وسكن في حي البسطة[٢]، وذكر الأستاذ شفيق يموت أنّه كان يزوره ويقرأ عليه في بيته في الطريق الجديدة ببيروت[٣].

لم يلق الشيخ في بيروت ما لقيه في دمشق من تقدير أهلها له وإفادتهم من

(١) موقع يابيروت.

(٢) كتبت جريدة السفير: أسماء لمعت في البسطة: يفخر أهالي البسطة بالكثير من الأسماء في عالم الأدب، لكن أبرزها يبقى عمر فاخوري، عمر الأنسي، مصطفى فروخ، عمر فروخ، أحمد عمر محمصاني، عبد الرحمن سلام، مصباح رمضان، محمد بشير رمضان، محمد سليم غلاييني؛ ملحق جريدة السفير "بيروت ٢٠٠٧: صور أحياء تغيّرت وما بدّلت تبديلًا"، موقع جريدة السفير.

(٣) عالم من بيروت: الشيخ عبد الرحمن سلام: لمحات من حياته وشيء من آثاره، ومعه دفع الأوهام بقلم ابن سلام، جمعها واعتنى بها بهاء الدين سلام، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٤٥.

علمه وأدبه فبقي حتى عام (١٩٣٠) دون أيّ عمل يغطّي نفقات حياته اليوميّة ومسؤولياته العائليّة. وقد ذكر الشيخ أحمد العجوز العالِم البيروتيّ أنّ الحرج المادي الذي عاشه الشيخ عبد الرحمن سلام ألجأه إلى تعاطي بيع الخضار في سوق الخضار في بيروت مما جعل جمعية المقاصد الخيريّة الإسلاميّة تلتفت إليه وتعيّنه مدرساً في مدرستها بالحرج لتخفّف عنه من ضيق ذات يده[١].

وفي عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م عُيّن الشيخ عبد الرحمن سلام مدرّساً في مدارس المقاصد التابعة لجمعيّة المقاصد الإسلامية[٢].

وعندما شغر منصب الإفتاء سنة ١٣٥١هـ ١٩٣٢م بوفاة الشيخ مصطفى نجا رحمه الله، اتّجهت الأنظار إليه ليخلف المفتي الراحل إلا أنّه اعتذر عن الموافقة ورشّح لهذا المنصب الشيخ محمد توفيق خالد رئيس كتبة المحكمة الشرعيّة آنذاك، وهذا ما تمّ الاتفاق عليه، وبقي الشيخ عبد الرحمن سلام في منصب أمين الفتوى إلى حين انتقاله إلى جوار أكرم الأكرمين سنة ١٣٦٠هـ ١٩٤١م[٣].

عضويته في المؤتمر الإسلامي الذي عقده الملك عبد العزيز آل سعود في عام ١٩٢٦م:

ذهب المترجم سنة ١٣٤٩هـ = ١٩٢٦م إلى الحجاز[٤]، ومثّل لبنان مع

(١) موقع يابيروت.
(٢) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠، وتاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩.
(٣) موقع يابيروت.
(٤) مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠، والموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام).

الشيخ حسين الحبال في المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الملك عبد العزيز آل سعود، وشارك في بحوثه[١]، وكان في المؤتمر أحد المشاركين البارزين[٢].

ويُذكر له من لطيف شعره بيتان قالهما مرتجلاً في المؤتمر الإسلاميّ المذكور لما قال الملك عبد العزيز آل سعود: نحن عرب قبل أن نكون مسلمين[٣]:

قال عبد العزيز قولاً كريمًا والصوابُ الذي يقولُ الإمامُ

نحن قبل الإسلام عربٌ ولكن نحن بعد الإسلام عربٌ كرامُ

تدريسه في الكليّة العُثمانيّة الإسلاميّة في بيروت

أسّس الكلية الشيخ أحمد عباس الأزهري، وكان فيها الشيخ عبد الرحمن سلام أستاذ التفسير والأدب العربي فيها[٤]، والظاهر أنّ تدريسه فيها جاء متأخّراً أي بعد عودته من دمشق عام ١٩٢٥ بل بعد تدريسه في المقاصد الإسلاميّة[٥].

(١) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩.

(٢) عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢، أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

(٣) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٥١.

(٤) انظر أسماء أساتذتها حتى العام ١٩٤٣، في "الأساتذة والمعلمون والمدرسون في الكلية العثمانية الإسلامية في عهود مختلفة حتى العام ١٩٤٣ من مدارس بيروت"، موقع الشيخ محمد نافع شامي رحمه الله على الفيسبوك.

(٥) كما يظهر من مذكرات المفتي محمد سليم جلال الدين مفتي صيدا والجنوب في لبنان (المتوفى سنة ٢٠٠٧م)؛ كما سيأتي.

وقد أسّسها الشيخ الأزهري لما رأى أنّ عمل جمعية المقاصد الخيريّة الإسلاميّة اعتوره القلق والاضطراب، وأصبحت مدارس الجمعية أضعف من أن تؤدّي رسالتها في نهضة الناشئة الإسلامية في بيروت على الوجه المطلوب آنذاك. ففي غرة ربيع الأول ١٣١٢هـ الموافق ١٩ آب ١٨٩٥م أسّس الكليّة العُثمانيّة متعاوناً مع الشيخ عبد القادر القبّاني، والشيخ عبد الباسط فتح الله وبعض المسلمين، وكان الشعار الذي اتخذه للكليّة (أغنى الغنى العلم وأكرم الحسب الأدب)[١].

(١) ذلك أنّ الأزهري رحمه الله تخلّى " عن تجارة الكتب سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م وكاشف صديقه الشيخ عبد القادر القبّاني برغبته في التعاون معه في إنشاء مدرسة تفي بالمطلوب في ميدان تعليم الناشئة الإسلاميّة، فوجد عند هذا الصديق الفاضل استعداداً لما اقترحه عليه لمشاركته له نفس الشعور حتى إن القبّاني بادر إلى مشاركته في رأس المال المطلوب في المشروع، ويقول الشيخ أحمد عبّاس حول ما لقي من مؤازرة صديقه في هذا العمل: . . . ودعاني إلى ما أحب من الخدمة فلبيت وسعدت بمؤازرته زهاء عشرين سنة.
شهدت الكلية نجاحاً وإقبالاً من الطلبة البيروتيين واللبنانيين والعرب أيضاً بحيث بلغ عدد طلابها في سنواتها الأولى حوالي طالب، يتلقون دروساً على أربعين أستاذاً ومربياً. والأمر اللافت أن شيخ الجيلين القرن التاسع عشر والقرن العشرين، لم يقتصر عمله على تطبيق البرامج المدرسيّة الجديثة والمتطورة وتعليم اللغات الأجنبيّة فحسب، بل عمل في كليته على غرس الروح الإسلاميّة والوطنيّة واليقظة الإسلاميّة في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين. وقد تخرج من مدرسته كثر قاموا بدور أساسي في الحياة السياسية اللبنانيّة والعربيّة وهم الذين حملوا فكرة الاستقلال العربي وكان منهم الأديب والصحافي والطبيب والصيدلي والحقوقي والتاجر والسياسي، ومما قيل فيها في تلك الفترة (وبالجملة فإن تلامذة الكليّة الإسلاميّة، إن لم يرفعوا أمتهم إلى ذروة المجد، فقد قربوها من المنزلة التي تليق بين إخوانها في الوطنيّة من الأمم الراقية). ومن الملاحظ أن (الكليّة الإسلاميّة) بالرغم من حرص القيمين على إدارتها على متابعة مسيرتها ورسالتها العلميّة، غير أن الخلافات العائليّة التي نشبت بين أبناء الشيخ أحمد عباس الأزهري، وفقدان الكليّة للرئيس المؤسس، ونظراً لاعتماد السياسة الفرديّة، والابتعاد عن العمل الجماعي

وما هي إلا سنوات حتى ذاع صيت الشيخ الرئيس أحمد عباس الأزهري، فاستقطبت كليّته المزيد من جموع الطلبة، وبدأت تتخذ منحى منافسة الكليّة السوريّة الإنجيليّة (الجامعة الأميركيّة اليوم) وبلغ الأثر الواضح للكليّة العُثمانيّة حيث إنّ خريجيها حملوا لواء الدعوة لإيقاظ الأمة الإسلاميّة والعربيّة، فعقدوا الندوات ونشروا المقالات وعمموا الأفكار الأزهريّة، وباتت الأزهريّة مدرسة فكريّة تربويّة وسياسيّة واجتماعيّة، تهدف إلى اليقظة والوعي، وبهذا الاتساع صارت كلية تُقبل شهادتها في جامعات بيروت وأوروبة، وكان المتخرجون فيها يدخلون عالم الصحافة والطب والصيدلة والحقوق وما إلى ذلك من المراتب العلميّة العالية.

ولقد تنبه الشيخ أحمد عبّاس الأزهريّ في وقت مبكّر حاجة المسلمين إلى علماء قادرين على مواجهة الإرساليات الدينيّة الأجنبيّة بسلاح العلم المقارن الذي يستلزم نخبة من الطلاب الذين يتمتعون بأهليّة ثقافيّة تتيح لهم المقدرة على إيضاح الدين الإسلامي من منظور فكري متطّور، ولأجل هذه الغاية أدخل في مناهج الدراسة في الكليّة العُثمانيّة العلوم الدينيّة من فقه وتوحيد، وأضاف إليها درساً في علم الأصول ثم حاول إنشاء قسم خاص لمن يريد الاختصاص في هذه العلوم وشرط أن لا يقبل في هذا القسم إلا من اضطلع بالعلوم العصريّة وأحرز إجازة البكالوريا[١].

ويذكر المفتي محمد سليم جلال الدين[٢] في «ذكرياته»: «وأذكر من

= المؤسساتي، ولأن الكليّة لم تتحول إلى مؤسسة قائمة بذاتها، أدى ذلك كلّه إلى إفقادها تراثها التربوي والتعليمي، وإقفالها عام ١٩٤٣م.

(١) موقع يابيروت.

(٢) المفتي محمد سليم جلال الدين مفتي صيدا والجنوب في لبنان (ت ٢٠٠٧م)؛ له "والذكريات صدى السنين"، مذكرات له، نشره في صيدا.

الأساتذة الشيخ عبد الرحمن سلام أمين الفتوى في بيروت، والشيخ راشد عليوان[١]، والأستاذ باخوس، والأستاذ حداد، . . . إلخ.

ومن الذكريات التي لا تُنسى، حفلة أقامتها الإدارة في حزيران/يونيو ١٩٣٣م لتكريم الأستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني بمناسبة اعتماره العمامة من جديد. وكان عريف الحفلة الشيخ عبد الرحمن سلام، ومن جملة الخطباء الأديب الشهير الأستاذ إسعاف النشاشيبي من القدس بفلسطين، الذي استطاع بإلقائه الفريد من نوعه أن يسيطر على عواطف الحاضرين وشعورهم، فيصفّقون له بحرارة وقوة، وما إن يتوقف التصفيق حتى يقول بلهجة الأمر: تصفيق حاد، فيلبّي الحاضرون ويصفّقون. وأذكر أنه بدأ خطابه بهذه الكلمات: والله، ثم والله، لولا بيروت ولولا أنها بيروت، ما جيت ما جيت ما جيت، فدوى تصفيق ثم تصفيق حاد حسب طلبه. . إلخ.

وعندما انتهى من إلقاء كلمته، عقّب عريف الاحتفال (الشيخ سلام) بقوله: إن هذه الحيوية مطلوبة من الخطيب لتحريك عواطف السامعين، ولكنّ خطيبنا: زاد في الرقة. وهنا صفّق الجميع طويلاً.

ومعلوم أنّ العبارة التي ساقها العريف في وصف حركات ونبرات الخطيب، هي من الأمثال الشائعة، وقد اكتفى عريف الاحتفال بإعلان شطر منها وهو «زاد في الرقة»، أما الشطر الآخر وهو «حتى انفلق»، فردّده الحاضرون»[٢].

(١) راشد عليوان: شاعر وعالم لغوي من لبنان، درّس في مدرسة "حوض الولاية" والكلية الشرعية ببيروت.

(٢) والذكريات حصاد السنين، محمد سليم جلال الدين، صيدا: د.ن.

أمانة الفتوى في بيروت:

عُيّن المترجم أمين الفتوى في لبنان[١]، وذلك في سنة ١٣٤٩هـ=١٩٣٠م[٢]، وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل[٣]، وكان مكتبه في جامع النوفرة، ثم اتّخذ مكتباً له في الغرفة التي كانت موجودة في الجهة اليمنى من مدخل الجامع العمري الكبير في بيروت، واستمرّ في منصبه حتى وفاته عام ١٩٤١، تخلّل هذه الفترة رعايته للعديد من الجمعيات البيروتيّة، بما فيها رعايته لإنشاء جمعيّة البرّ والإحسان التي تأسّست في منطقة الطريق الجديدة بحضوره عام ١٩٣٦[٤].

عضويته في المجمع العلميّ اللبنانيّ:

أولاً: إنشاء المجمع العلميّ اللبنانيّ

مع ظهور بوادر النهضة الفكرية الحديثة في الوطن العربي عامة وبلاد

(١) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

(٢) الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام).

(٣) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، ومصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠، عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ - ٨٠٢، تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩، الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام).

(٤) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

الشام خاصة في القرن الماضي لم يكن للغة العربية حظ يذكر إلا في بعض زوايا المساجد والمدارس الأهلية ومعاهد الإرساليات الأجنبية أو الجمعيات الوطنية، إذ كان من مغبة اتخاذ التركية لغة رسمية دون غيرها أن أصبح معظم موظفي الدولة ضعافاً في اللغة العربية، ومثلهم بعض محرري الصحف العربية لكثرة الأخطاء اللغوية عندهم، وقد انعكس الأمر في مقررات المؤتمر العربي المنعقد في باريس سنة ١٩١٣ والذي تنادى إليه بعض السياسيين والأدباء واللغويين العرب لتدارك الأمر الضاغط على الثقافة العربية، وقد ورد في مقرّراته:

يجب أن تكون اللغة العربية متغيّرة في مجلس النواب العثماني، ويجب أن يقرّر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية.

مما حمل السلطان محمد رشاد على الاستجابة لهذه المطالب بموجب إرادة سلطانية سنة١٩١٣ تنص على: أن يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي تتكلم أكثرية سكانها هذه اللغة في المدارس الابتدائية والإعدادية، وينظر من الآن في الوسائل التي تؤدي إلى جعل التعليم في البلاد العربية باللغة العربية.

وقد أشار الشيخ أحمد عارف الزين في مجلته «العرفان» إلى ضرورة إنشاء مجمع علمي لبناني يرتبط به كلّ علماء ولغويي الوطن اللبناني بهدف وضع المصطلحات للمسميات الجديدة، وذلك رداً على الرطانة الأعجمية المتفشية في النوادي والمجالس المختلفة، لا بل تعمد الانتداب الفرنسي إعطاء الأولوية لنشر لغته الفرنسية على حساب اللغة العربية لغة البلاد الأصلية. وقد حفل لبنان في صدر القرن العشرين بحملة الشهادات العليا من خريجي المعاهد والمدارس الموفورة فيه ومن خريجي الجامعات الغربية، وأصبح عنده شبه كيان سياسي في عهد الانتداب بالقانون الأساسي والحكم

الدستوري سنة١٩٢٦ ، فاتجهت أنظار أهل العلم والفكر إلى أن تكون له هيئة تمثل وجه وطنها الثقافي عبر إنشاء (مجمع علمي لبناني) وذلك أسوة بالمجمع العلميّ العربيّ في سورية منذ سنة ١٩١٩بصورة رسمية، هذا بالإضافة إلى الروح العربية التي مازالت تعمر بها نفوس العروبيين من اللبنانيين الهادفة إلى الوحدة مع سورية الكبرى آنذاك ورفعت هذه الكوكبة أصواتها مطالبة بهذا المجمع الموعود فلاقت صداها عند النائب الشيخ إبراهيم المنذر الذي تبنّى الموضوع سنة ١٩٢٧ ، وأثار مشروع اقتراح إنشاء المجمع العلميّ اللبنانيّ بجدية ودافع عنه مع بعض النواب الذين آزروه، فكانت لهم صولات وجولات ضد قلة قليلة من المعترضين يدفعه حبه للغة العربية وإخلاصه لها في وجه الدعوة إلى العامية والفرنسية حتى تمكنوا من انتزاع قانون إنشاء المجمع العلميّ اللبنانيّ، أصدره رئيس الجمهورية شارل دباس برعاية وزير المعارف بشارة الخوري في ٢ شباط سنة ١٩٢٨ .

ثم صدر مرسوم آخر بتعيين أعضاء هذا المجمع العتيد في ١٢ شباط من السنة نفسها قاموا فيما بعد بوضع نظامه الداخلي وبانتخاب اللجان المختصة فيه .

نستنتج من القراءة في قانون إنشاء المجمع العلميّ اللبنانيّ عدة أمور تنظيمية وأكاديمية، أهمها :

- تمتع المجمع العلمي بالشخصية المعنوية .
- السماح له بتلقي الهبات والمساعدات المالية والعينية .
- تنظيم اشتراكه في كل المؤتمرات العلمية .
- إصداره النشرات المتخصصة .

ثم إن هذه النشاطات لابد أن يقوم بها أعضاء المجمع العلمي أنفسهم ومراسلوه المعتمدون، وفي سنة ١٩٢٩م، يوم كان شارل دبّاس رئيس

الجمهورية اللبنانيّة وإميل إدّه رئيس الوزراء ونجيب عبد الملك وزير المعارف، صدر مرسوم جمهوري بإنشاء المجمع العلميّ اللبنانيّ، وبتعيين أعضاء المجمع العلميّ اللبنانيّ للبدء بمزاولة مهماتهم ونشاطهم الموعود، وكان محمد جميل بيهم[١] من بين أعضائه وهم بالإضافة إليه: الشيخ إبراهيم المنذر[٢]، وأسد رستم[٣]، ويُوسُف الخوري، **والشيخ عبد الرحمن سلام**[٤]، والشيخ علي الزين، والخوري يُوسُف عبّود، والقاضي جرجي صفا، والمطران جرجي سبيتي، والشيخ منير عسيران، والشيخ أحمد عمر المحمصاني، والمحامي وديع عقل، والدكتور إلياس فيّاض، والشيخ أمين تقي الدين[٥].

(١) محمد جميل بيهم (١٣٠٥ - ١٣٩٩هـ/ ١٨٨٧ - ١٩٧٨ م) هو مؤرّخ وداعية إصلاح عربي لبناني. وهو محمد جميل بن محمد مصطفى بن حسين بَيْهُم العيتاني. عمل من أجل استقلال سورية ولبنان، ودافع عن عروبة فلسطين، ودعا إلى تحرير المرأة.

(٢) إبراهيم بن ميخائيل (١٢٩٢ - ١٣٦٩هـ/ ١٨٧٥ - ١٩٥٠ م) أديب لغوي، درس الحقوق، وتولّى بعض المحاكم، وانتخب نائباً عن بيروت، وعمل في الصحافة، كتب مقالات كثيرة، من كتبه "كتاب المنذر" في أغلاط الكتّاب؛ ترجمته في "الأعلام" ١/ ٧٦.

(٣) أسد بن جبرائيل رستم: (١٣١٥ - ١٣٨٥هـ/ ١٨٩٧ -١٩٦٥ م) مؤرّخ غزير الإنتاج، عمل أستاذاً في الجامعة الأمريكية ببيروت، من أشهر كتبه "مصطلح التاريخ"؛ ترجمته في "الأعلام" ١/ ٢٩٦.

(٤) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ، تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٨، وعبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

(٥) يوميات بيروتية، انظر موقع (المواقع الحرة).

نستنتج مما تقدم أن المجمع العلمي قد ضم أعلاماً مشهود لهم في دنيا العلم والمعرفة على صعيد لبنان والوطن العربي، كما أن آثارهم أغنت التراث اللبناني والعربي في مختلف ضروب العلوم وفنونها، فضلاً عن كونهم يمثلون مختلف فئات الشعب اللبناني.

ثانيًا: أعمال المجمع العلميّ اللبنانيّ:

باشر المجمع العلميّ اللبنانيّ بدايات جلسات أعماله باتخاذه من وزارة المعارف مقرًا له، ثم انتقل إلى دار الكتب الوطنية، إلى أن عقد العزم على اتخاذ ناد فسيح يشتمل على مكتبة للمطالعة وإلقاء المحاضرات المفيدة، ولا بد عندئذ من نشر ما يضعه من المعاجم والكتب، بالإضافة إلى تأسيس مجلة عربية تكون صلة علم وأدب بين الناطقين بالضاد حرصاً على اللغة من الضياع.

وفي ١٨ تشرين الأول ١٩٢٩ انتخب محمد جميل بيهم رئيساً للمجمع العلمي والأستاذ وديع عقل والشيخ إبراهيم المنذر معاونين له من ثم انتخبت اللجان الباقية.

وفي ٣ تشرين الثاني ١٩٢٨ قسم أعضاء المجمع أنفسهم إلى أربع لجان متخصصة؛ وهي:

- اللجنة الأولى: اللجنة الإدارية: ومهمتها القيام بأعمال المجمع الإدارية وتحصي الموازنة السنوية، وتنظيم الاتصالات الخارجية.
- اللجنة الثانية: اللجنة اللغوية: ومهمتها التدقيق في وضع المسميات للأعيان والمصطلحات للمعاني العلمية الجديدة وتقرير الملائم منها بمعاونة المجامع العلمية العربية توصلاً لوضع معجم واف بحاجة العصر.

- اللجنة الثالثة: لجنة التاريخ والجغرافية: ومهمتها وضع معجم جغرافي للبنان يشمل الأعلام الجغرافية من مدن وقرى وآثار قديمة وحديثة قائمة أو خربة، مع البحث عن النقوش العربية وسائر العاديات، والفنون الجميلة بأسلوب علمي حديث.
- اللجنة الرابعة: لجنة المخطوطات العربية: ومهمتها وضع إحصاء عام للمخطوطات العربية في لبنان وترتيبها على طريقة علمية تسهيلاً لمراجعتها وابتياع وطبع (ونشر) المهم منها.

ومن اللجان المشكّلة: اللجنة الإدارية الفنية: التي أوعزت إلى **الشيخ عبد الرحمن سلام** وجرجس صفا دراسة إمكانية استكمال دائرة معارف البستاني استناداً إلى خبر ورد في جريدة البرق البيروتية[١] حول عزيمة طائفة من أعيان مصر إنشاء مجمع علمي لغوي فيها، كما كلّفت رئيسها جميل بيهم بالسفر إلى مصر للتنسيق والتشاور معهم حول ما يزمعون القيام به، وأسفرت رحلته عن تفاهم علمي بين المجمعين ثم أردفها برحلة أخرى إلى المجمع العلمي في دمشق للهدف نفسه أيضاً.

رأى المجمع اللبناني انتداب رئيسه بيهم مجدداً إلى مصر لإيجاد صلة بين الهيئات المجمعية واللغوية في الأقطار العربية لعقد مؤتمر عام للتفاهم على

(١) كانت جريدة البرق نشرت مقالًا لصاحبها الأستاذ بشارة الخوري اقترح به على المجمع إكمال دائرة المعارف التي أصدرت بعض أجزائها الأستاذ بطرس البستاني قبل حين فرحب المجمع بهذا الاقتراح وفوض إلى اثنين من أعضائه: الشيخ عبد الرحمن سلام والأستاذ جرجس صفا، لدرس هذا الموضوع، وليقدم كل منهما تقريرًا في الوسائل التي يمكن بها تحقيق هذا الاقتراح. انظر: تطور النهضة الثقافية في بلاد الشام والمجمع العلمي العربي اللبناني، بحث في مجلة دعوة الحق المغربية، العدد ١٤٩.

الطرق والأساليب السوية لترقية اللغة العربية، ورعاية نمائها وفق الأصول العلمية الصحيحة.

في هذا الوقت كان **الشيخان عبد الرحمن سلام وأحمد عمر المحمصاني** قد وضعا بناء على طلب المجمع اللبناني **تقريرهما حول كيفية المحافظة على اللغة العربية** وسبل ترقيتها نوجزه بما يلي:

- إتقان طرق التعليم واختيار المؤلفات المفيدة، وتوحيد المناهج الدراسية في وزارة المعارف.

- الاعتناء بتحسين أسلوب الكتابة في الصحف العربية، والإدارات العامة.

- إنشاء مدارس ليلية يتدارك فيها الكثيرون مما فاتهم.

- وضع مسميات ومصطلحات للمخترعات الجديدة بما يلائم العصر.

- إلقاء محاضرات أدبية لغوية يظهر فيها أثر التجدد.

- إيجاد اتصال علمي وارتباط أدبي مع بقية المجامع اللغوية في البلاد العربية تمهيداً لتكوين مؤتمر مجمعيّ عام.

وترى اللجنة أن وضع كلمات غير قاموسية يبتدعها المتخصّصون والعاملون في كلّ علم هي من حقّهم، ولاسيما إذا امتلكوا ناصية اللغة العربية، ولزملائهم من بعدهم في المجامع اللغوية وحملة الأقلام أن يحكموا عليها قبولاً أو رفضًا، وبهذه الطريقة المثلى عند التحقيق تتوالد الألفاظ والأوضاع الجديدة في اللغة، وتنتشر من ثم عبر تداولها في الصحف والمؤلفات.

ونحن نرمي إلى دفع الدخيل من الألفاظ الأجنبية واستعمال ألفاظ عربية في موضعها شريطة أن تكون الألفاظ العربية فصيحة مأنوسة وإلا فالألفاظ

الأجنبية المألوفة أولى من العربية الثقيلة المهجورة، كما أن تعريب الكلمة أو نحتها أو نقلها حتى تصلح في الوزن والقياس خير من البحث عن كلمة عربية قديمة لاتألفها الآلسنة والمسامع.

والغريب أنّ القواميس القديمة والحديثة تحتفظ من ألفاظ الحواشي أو الوحشي الذي يمزق الآذان وينقله النسّاخ من جزء إلى آخر ومن طبعة إلى طبعة. أما الجديد المأنوس المستعمل فلا يثبتون منه كلمة لأنه لم يرد في أقوال العرب ولا أثبت في معاجمهم. لذلك نرى أن باب الاشتقاق في اللغة يجب أن يفتح على مصراعيه توصلاً إلى استخدام الأفعال والأسماء والصفات المتعلقة بها وفق مقتضيات العصر.

وسننظر فوق ما تقدم في أصول اللغة أيّ قواعدها الأساسية المتخذة حجة لصحة الكتابة والإنشاء، وهي في كل فرع من فروع الصرف والنحو والعروض والبيان وغيرها كونها ماتزال على حالها منذ أن وضعها الأئمة لم يطرح منها باب ولا عدلت قاعدة.

لذلك شق التحصيل على طلابها لأنهم رزحوا تحت أعبائها وضاعوا بين المؤلفات الضخمة والآراء المتباينة والقواعد المعقدة التي يجب أن تطرح من كتب اللغة تسهيلاً لتناولها، ولا يخفى ما في تحقيق الأمنية من الصعوبة تجاه المتعنتين ونحن نتوخى في كل المحافظة على عظمتها وتعابيرها الشيقة مستعينين بأقطابها المدققين العاملين الضاربين في مشارق الأرض ومغاربها[١].

(١) المجمع العلمي اللبناني ١٩٢٧- ١٩٣٠، هلال مصطفى الناتوت، مجلة النادي العربي للمعلومات، العدد٤ سنة ٢٠٠١.

ثالثًا: إلغاء المجمع العلمي اللبناني:

فوجئ المجمع في عهد بشارة الخوري بمرسوم صادر عن رئاسة الجمهورية مؤرخ في ٣ شباط ١٩٣٠م يقضي بإلغائه تحت ستار التوفير على الخزينة. فكان لهذا المرسوم أثر سيء، ولا سيما على أعضائه الذين كانوا يوفون الخدمة حقها، وهم لا يتوقّعون الشكر، فقدّموا استدعاء إلى وزارة الداخلية بطلب الترخيص لهم لمتابعة العمل باسم المجمع المذكور دون الاعتماد المالي. ولكن المجمع اضطر فيما بعد إلى التوقف لأن مؤسسة كهذه عليها ما عليها من النفقات لا يطول عمرها إذا لم تمدها الحكومات بالمساعدة. ثم ما برح أعضاء المجمع، الذين كانوا يشعرون بالفراغ، يطالبون بإعادته. وقد استجاب لهم المجلس النيابي عام ١٩٤٤. وقرر تخصيص مبلغ من المال لإعادة المجمع. ولكن الحكومات المتتابعة ضربت صفحًا عنه فقضى نحبه قبل القطاف[١].

تأسيس جمعية البر والإحسان عام ١٩٣٦:

كانت بدايات أعمال ونشاطات جمعية البر والإحسان في الثلاثينيات من القرن العشرين يوم اجتمع نفر من أبناء الطريق الجديدة[٢] في بيروت لمعالجة أوضاع المنطقة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، وقد حضر الجلسة الأولى للجمعية ما يقارب من أربعين شخصاً، **وترأس الشيخ عبد الرحمن سلام أمين الفتوى في بيروت الجلسة**، وافتتحها، ثم بيَّن للحاضرين الغاية من

(١) تطور النهضة الثقافية في بلاد الشام والمجمع العلمي العربي اللبناني، بحث في مجلة دعوة الحق المغربية، العدد ١٤٩.

(٢) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

الاجتماع، وأكّد على أهمية الخير والبر والإحسان، ودار البحث مطولاً في موضوع الجمعيّة وأهدافها، وضرورة إيجاد المحبة والوفاق والاعتصام بحبل الله بين عموم أفراد المحلة، وقد وافق الجميع على ذلك والسير في مشروع الخير. وبدأت حملة التبرع من الحاضرين فجمعوا مبلغاً من المال.

الأهداف الرئيسة للجمعية:

كان الهاجس المستمر للمؤسسين الأوائل، وقبل مرحلة التأسيس بسنوات، يتمثل بأمور رئيسية ثلاثة:

١- العامل الديني: أسهم الأوائل مع أبناء منطقة الطريق الجديدة ببيروت في إقامة أول مسجد في منطقة الرمل في الطريق الجديدة فجمعوا التبرعات من أبناء المنطقة في الثلاثينات لبناء مسجد الإمام علي كرم الله وجهه.

٢- العامل العلمي: سعى الأوائل مع رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية مفتي بيروت آنذاك الشيخ مصطفى نجا، إلى افتتاح مدرسة عمر بن الخطاب (الفاروق) عام ١٩٣١ في المنطقة.

٣- العامل الصحي: سعى الأوائل من مؤسّسي جمعية البر والإحسان مع أهل الخير والعطاء للإسهام في بناء المستشفى الإسلامي في المنطقة والذي يعرف اليوم بمستشفى المقاصد. كما سعوا في الخمسينات إلى بناء دار العجزة الإسلامية، والعديد من المستوصفات الصحية.

وقد استمرّت الجمعية في مسيرتها فيما بعد وفاة الشيخ سلام، وحرصت على نشر العلم بين أبناء بيروت، فأنشأت الأبنية التعليمية فأسّست الثانويات، وأشادت أبنية جامعية مثل جامعة بيروت العربية[١].

(١) أعلام لا تنسى في تاريخ بيروت: الحاج جميل رواس (١٨٨٨ - ١٩٧٦): رجل البر والإحسان والخير والعطاء والمؤسسات البيروتية، مقال حسان حلاق، جريدة اللواء اللبنانية، العدد ١٣٦٦٠، السنة ٥٠، وموقع يابيروت.

مشاركته في مؤتمر العلماء الأول المنعقد بدمشق

عندما عُقد مؤتمر العلماء المسلمين بدمشق من ١١-١٣ رجب ١٣٥٧ الموافق ٦-٨ أيلول ١٩٣٨انتخب نائباً لرئيس هذا المؤتمر في سوريا ولبنان[١]، وهذا يدلّ على مكانته العلميّة، ووجاهته وحضوره الاجتماعي، إذ كان في ذلك العصر علماء مشهورون، ودعاة معروفون، وأعلام لهم مكانة وحضور. ولولا أنّ المترجم أهلٌ لهذا المنصب لم يأخذه بين أقرانه.

والسبب في الدعوة إلى المؤتمر أنّ أجلّة العلماء في دمشق يأخذون على كثير من أهل العلم قعودهم عن مواجهة الظلم، وتخليهم عن تحمل المسؤولية، وانزواءهم في البيوت والمعابد، ومواجهة التبشير، وبقي الأمر هكذا حتى عاد إلى دمشق الأستاذ الجليل محمد كامل القصاب - من منفاه - عام ١٩٣٨م. فرأى في تمزق العلماء وسكوتهم ما يؤذن بخطر كبير، فعمل على تأليف جمعية تضم صفوفهم، وتوحّد آراءهم، وتدافع عن كرامتهم، وتسعى إلى إعلاء كلمتهم. وإبلاغ صوت الحق إلى القلوب.

دعا الشيخ القصّاب علماء المسلمين في بلاد الشام والعراق إلى مؤتمر ضمّ أكثر من مئة شخصية، ضمّوا طائفة كبيرة من خيرة العلماء، من القدس ونابلس النجف وبيروت وصيدا وطرطوس واللاذقية وحمص وحماة وحلب وأنطاكية وإدلب والباب ومنبج ووادي العجم والقنيطرة ودير عطية والنبك، فكان هذا المؤتمر بعثاً جديداً لنشاط العلماء، ونجح نجاحًا كبيراً، واتخذ

(١) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.، الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام). وموقع يابيروت.

قرارات عظيمة، بلغت سبعة وعشرين قراراً كان من أهمها: الحيلولة دون إلغاء الوقف والقضاء الشرعي، ومعارضة حلّ الأوقاف الأهلية.

ولأهميته، وحضور **الشيخ عبد الرحمن سلام بصفة نائب الرئيس**[١]، فضلاً عن أهمّية المؤتمر التاريخيّة والحضاريّة وتوجيهه نحو العناية بالعربية لغةً وحضارةً وتمكينها في النشء والمجتمع، نثبت فيما يلي موجزاً عن وقائع هذا المؤتمر كما أعلنه ذووه والقائمون عليه:

١- الفكرة العامة الموجبة للمؤتمر

لما كان هذا العصر يتميز عن غيره بتزاحم العوامل المختلفة فيه من مادية ومعنوية في شتى نواحيها وميادينها، وكانت الأدوار الإنشائية العامة في تكوين الأمم المتحفزة إلى النهوض والحياة من أخطر الأدوار التي تمر بها الأمم كما في عهدنا الإنشائي الحديث اليوم، إذ تكون تلك الأدوار مفترق طرق يقذف بالسائرين فيه إمّا إلى هناء وإمّا إلى شقاء من حيث تشعر أو لا تشعر في ركني حياتها المادي والروحي قضى الواجب المحتم على كل ذي إخلاص واختصاص أن يبادر إلى المساهمة في بنيان أمته الناشئة بهمته الصادقة، ضمن خطته واختصاصه، ليكون ملئ الصحيفة بالآثار الناطقة الناصعة، برئ الساحة من السؤال عن التهاون في التعاون للحياة الصالحة.

لهذه العوامل القوية وجب على العلماء أن يفكروا في الطرق الناجحة، والوسائل الناجعة لجمع الجهود وتضافر القوى الصالحة على النهوض بتلك الأعباء التي تزداد وطأتها ثقلاً كلما اشتدت عوامل المدنية المادية عماية وضراوة، والتي لم تعد تغني فيها ولا تثمر جميع الجهود الفردية المبعثرة.

(١) عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

٢- غاية المؤتمر العمليّة

لما كان تعاقب الحوادث قد أفقد المسلمين كثيراً من مقوماتهم الدينية، والأخلاقية والاجتماعية حتى أصبح منظوراً في حياتهم من هذه النواحي نواقص كثيرة، يجب تلافيها في ظواهرها وخوافيها= عزم العلماء بعد أن تراسلوا من مختلف البلاد الشامية للنظر في سائر الشؤون المتقدمة الذكر، واتخاذ الذرائع المنتجة لتحقيق ما يجب فيها، وتنظيم الجبهة العلمية تنظيمًا يضم النهضة والاضطلاع بأعباء هذا الأمر الجلل. وتنفيذًا لهذه العزيمة قامت (جمعية العلماء بدمشق) بتوجيه الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر الميمون فلبّاها من القدس، ونابلس، النجف، وبيروت، وصيدا، وطرطوس، واللاذقية، وحمص، وحماة، وحلب، وأنطاكية، وإدلب، والباب، ومنبج، ووادي العجم، والقنيطرة، ودير عطية، والنبك، جمهور عظيم من أكابر العلماء = انضمّوا جميعًا إلى أخوانهم العلماء في دمشق، فبلغوا مئة وخمسة أعضاء، عقدوا مؤتمرهم ثلاثة أيام بلياليها وصالًا، ووضعوا مقررات لها من الشأن والخطورة في ذلك ما لها[١].

(١) **خلاصة مقررات المؤتمر**: أما المقررات التي وضعها مؤتمر العلماء في مختلف الفروع، تحقيقا لغايته السامية فخلاصتها بإيجاز:
١- مطالبة الحكومة بإنشاء مدارس شرعية منظمة ابتدائية وثانوية في المدن، والعناية بتنظيم المدارس الموجودة حاليًا، وتأسيس معهد عال شرعي ضمن الجامعة السورية ذي ثلاث سنوات لتخريج القضاء الشرعيين والمفتين سدادًا للحاجة الملحة اليوم، وإحياء للتراث التشريعي الإسلامي الجليل، ذي الشأنين العلمي والعقلي في تاريخ التشريع الإسلامي خاصة والعالمي عامة، والإسراع بإرسال بعثات لهذه الغاية إلى مصر للتخصّص.
٢- مطالبة الحكومة بإصلاح المحاكم الشرعية.
٣- المطالبة بملء الشواغر من الوظائف الشرعية كالإفتاء والتدريس العام سدًّا للحاجة القائمة.

. . . . . .

٤- المطالبة بإعادة الأوقاف المستولى عليها من قبل بعض الدوائر الحكومية، وبدفع جميع عائدات الأوقاف العشرية التي تدخل على الخزينة إلى دوائر الأوقاف.
٥- تأييد ما قرره مؤتمر الدفاع عن الأوقاف المنعقد بحلب سنة ١٣٥٣هـ و١٩٣٤م من وجوب إدارة الأوقاف الإسلامية إدارة أهلية طائفية انتخابية، والمطالبة بالإسراع في وضع النظام الطائفي الانتخابي لإدارة الأوقاف على أن يكون مضمونًا فيه وجود أكثرية من علماء الدين في مجالس الأوقاف المحلية والعليا.
٦- الاحتجاج على غصب الخط الحجازي؛ لما في ذلك من عدوان على المؤسسات الوقفية المقدّسة، ومخالفة للعهود الدولية، ولحقوق المسلمين الدينية، مع المطالبة بإعادة هذا الخط إلى الأوقاف الإسلامية.
٧- تأييد رسالة (جمعية العلماء بدمشق) التي أصدرتها بشأن عدم جواز حلّ الأوقاف الذرية وإلغائها، وجمعت فيها فتاوى علماء الأمة ومفتيها من مختلف البلدان، بالنظر لصراحة الأدلة والأحكام الشرعية فيها، ولأنّ إلغاءها علاوة على ذلك سيكون مبعث أضرار عامة سياسية واقتصادية، ولاسيما في هذا الوقت الذي عرف مما ظهر في فلسطين الشقيقة شأن عظيم لملكية العقار في مستقبل البلاد وأهلها.
٨- المطالبة بزيادة الدروس الدينية في مدارس المعارف.
٩- المطالبة بصيانة الآداب والأخلاق العامة.
١٠- الاحتجاج الشديد على ما يجري في فلسطين الشقيقة المعذبة لإجلاء أهلها عنها، وتقسيمها بين الدخلاء، ومن أعمال السلطة الإنكليزية من قتل وتعذيب ونسف للمنازل والقرى ولمدينة جنين، والاعتداء على كرامة رجال الدينين الإسلامي والمسيحي، ومعاملتهم كالجناة المجرمين، وانتهاك حرمات المعابد، وتعطيل المجلس الإسلامي الأعلى، والاستيلاء على الأوقاف الإسلامية مع تأييد فتوى علماء العراق الأجلّة من أهل السنة والشيعة باعتبار جهاد فلسطين جهاداً مشروعًا، وتأييد أعمال (اللجنة المركزية بدمشق للدفاع عن فلسطين) في يوم ٢٧ رجب يوم فلسطين لجمع الإعانات لمنكوبي أهلها، وأن المؤتمر يرسل تحية خالصة مملوءة بالإكبار والإعجاب لزعماء فلسطين وشعبها الباسل في جهادهم الشريف العظيم.
١١- المطالبة بزيادة الاعتناء باللغة العربية.

أخباره

في ثنايا الكتب والدوريّات أخبار عن المترجم رأيتُ من الإفادة جمعها وإدراجها؛ لما لها من فائدة في إعطائنا صورة عن الواقع الاجتماعي والعلميّ الذي كان يعيشه المترجم:

- كان الشيخ قاسم الشّمّاعيّ الرّفاعيّ[١] في صحبة والده في بيروت، ودخلوا على الشيخ عبد الرحمن سلام أمين الفتوى، فاستوقفه منظر الشيخ

(١) العلامة الشيخ قاسم ابن العلامة الشيخ محمود بن علي الشماعي الرفاعي، ولد في مدينة بعلبك سنة ١٣٤٤هـ/ الموافق ١٩٢٤ م، ونشأ وعمل فيها، وحصل على الإجازة الشرعية من معهد العلوم الشرعية الإسلامية التابع للجمعية الغراء التي كان يترأسّها العلامة الشيخ علي الدقر رحمه الله، وذلك سنة ١٩٤٢م، وهو يومئذ ابن ١٧ سنة. وقد تّوِّج الشيخ قاسم بالعمامة وهو ابن اثنتي عشرة سنة بيد العلامة الشيخ علي الدقر في منزل الشيخ عبد الوهّاب الصلاحي قرب جامع الحلبوني بدمشق، وذلك إنجازًا لرغبة والده الشيخ محمود الرفاعي، له نحو عشر مؤلّفات وعشرين كتاباً محقّقاً. توفي سنة ١٩٨٨م.
مصادر ترجمته: كتاب بعلبك في التاريخ، ص ١٤٣، ١٦٠، ١٦٥-١٦٨، تأليف الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، ط أولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، المكتب الإسلامي. ومقالة بقلم ولده الأستاذ محمود الرفاعي، بعنوان: (محطات تاريخية في حياة المرحوم الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي)، نشرتها جريدة اللواء. وموقع: إرشاد- إصلاح.

الصغير المتعمّم، وقال لوالده: يا شيخ محمود أفندي، ما هذا؟ بكّرت عليه في إلباسه العمامة. فأجابه الشيخ محمود: غير أنه يعجبك. وحينها قام الشيخ عبد الرحمن سلام بامتحانه في إعراب عدّة جمل، حتى أمره بكتابة: عمّا قليل سأتقن النحو، وإعراب: (عمّا)، فلما أعربها، قال الشيخ عبد الرحمن رحمه الله: قم... فوالله لما كنتُ بسنّك كنتُ لا أفقه شيئاً.

- كانت جمعيّة الكشاف المسلم قد ظهرت كجمعية شبابية لنشر الكشفية ومدّ يد المعونة الأدبية والمادية إلى كلّ الكشّاف، إلا أنّ شباب بيروت اتخذوا منها غطاء لنضالهم السياسي ووسيلة لنشر الوعي القومي وإحياء التراث العربي، في مقاومة منظّمة وذكيّة للانتداب الأجنبيّ. ومن مناشطها أن أُقيمت في أيار سنة **١٩٣٠**م الحفلة الرياضية السنوية على ملعب الكلية الإسلامية في بيروت، وفازت فرقة الفاروق على الفرقة العباسية، ونالت الكأس الفضية، فتقدّم الشيخ عبد الرحمن سلام فأثنى على الكشّافين بأبيات من الشعر كان لها الوقع الحسن في نفوس الحاضرين[١].

- ثارت مظاهرات فرحاً بانتهاء عهد الاستبداد، وتبع ذلك تعاظم نفوذ الاتحاديين، ونشطت المحاكم العسكرية التي عُرفت في حينه بالديوان العرفي، وصادف أن حلّ أبو الركب[٢] في بيروت سنة **١٩٠٩**م، وبلغ من ثقله أن أصاب أفراد عائلة الشيخ عبد الرحمن سلام، فنظم قصيدة هدّده فيها بإحالته إلى المجلس العرفي، هذا المجلس الذي قضى بإعدام شهداء السادس من أيار وعفى عن أبي الركب!

(١) الذكرى المئوية الأولى: جمعية الكشاف المسلم مفخرة بيروت، مقال عبد اللطيف فاخوري، موقع جريدة اللواء اللبنانية.

(٢) أبو الركب: حمّى من أمراض البلاد الحارة، تنتقل بواسطة البعوض.

وكانت قصيدة الشيخ عبد الرحمن سلام بعنوان «أبو الركب وأمّ الغرائب» و«أمّ الغرائب» بحساب الجمّل ١٢٨٥ أي تاريخ ولادة الشاعر[١].

- جرت انتخابات سنة ١٩٠٨ لمجلس المبعوثان الجديد ففاز عن بيروت رضا الصلح (والد الرئيس رياض الصلح) وسليمان البستاني. أرّخ الشيخ عبد الرحمن سلام انتخابهما فقال:

قد ناب عنّا بني بيروت قاطبة في المجلس الشوروي العادل اثنان

فالصلح خير لنا مابينهم ولنا من كلّ فاكهة زوجان في الثاني[٢].

- قام نفر من الشبان المسلمين من حي باب السراية وركبوا العربات وتوجهوا إلى محلّة الجُمَّيزة، فجدّدوا عهود الإخاء مع إخوانهم المسيحيين، ودعوهم إلى الحضور إلى محلّتهم. وفي الموعد المحدد حضرت طائفة منهم إلى بوابة السراية فاحتفل بهم، وخطب فيهم الشيخ مصطفى الغلاييني. كما أنّ جمعاً غفيراً من أهالي البسطة المسلمين أقبل على محلّة المزرعة بين صفوف الرايات والبيارق وأصوات الهتاف والتهليل، ليعقدوا مع إخوانهم المسيحيين من سكان ذلك الحي عهود الولاء ومواثيق الإخلاص. وخطب فيهم مباركاً الشيخ عبد الرحمن سلام[٣].

- **حفلة الأربعين لتأبين المرحوم السيد حسين وصفي رضا**: في مساء الثلاثاء ليلة ١٧ صفر سنة ١٣٣٠ - ٦ فبراير سنة ١٩١٢ اجتمع فضلاء أدباء

(١) البيروتيين: حكاياتهم، أمثالهم، ووقائع أيامهم، تأليف عبد اللطيف فاخوري، بيروت: مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ٢٠٠٩.

(٢) البيروتيين: حكاياتهم، أمثالهم، ووقائع أيامهم، تأليف عبد اللطيف فاخوري، بيروت: مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص ٩٦.

(٣) البيروتيين: حكاياتهم، أمثالهم، ووقائع أيامهم، تأليف عبد اللطيف فاخوري، بيروت: مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ٢٠٠٩.

بيروت وأقاموا حفلة تأبين للسيد حسين وصفي رضا الحسيني في غرف القراءة الأميركانية، وأذاعوا تذكرة دعوة لحضور فريق أهل الأدب والفضل لمشاركتهم بذلك، وكان القائمون بهذه الحفلة هم المذيّلة أسماؤهم صورة تذكرة الدعوة، وهذا نصها:

ذكرى فقيد: (الساعة الثامنة من مساء الثلاثاء في ٦ شباط يحتفل فريق من إخوان فقيد الأدب المرحوم السيد حسين وصفي رضا بإقامة حفلة تأبين ذكرى لفضله واعترافًا بشهامته، وذلك في غرف القراءة على(السور) فنرجو حضوركم).

المتكلمون: الشيخ محيى الدين الخياط مترجم جريدة الولاية، الشيخ مصطفى الغلاييني أستاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانية والكلية العثمانية، جرجي أفندي عطية صاحب جريدة المراقب، أمين بك طليع مدير مال قضاء الشوف، إلياس أفندي حنيكاتي كاتب (مطرانخانة الروم) نجيب أفندي بليق مدير مدرسة المقاصدالخيرية، باتر أفندي باولي صاحب جريدة الوطن، جرجي أفندي باز صاحب مجلة الحسناء، محمد علي أفندي النابلسي من التجار ووكيل المنار في بيروت. وفي الوقت المعيّن اجتمع كثير من أهل الفضل، وشاركوا الفضلاء المحتفلين باحتفالهم، وترأس الاحتفال الأستاذ بولس الخولي مدير مجلة الكلية، فتلا رسالة الشيخ محيي الدين الخياط الشيخ عبد الرحمن سلام لعدم حضوره[١]، وأتبعها بتأبين له[٢].

- كان الشَّيخ عبد الله العلايلي من قبل، وفي أثناء زياراته للبنان، أثناء دراسته بمصر، قد شارك، في عام **١٩٣٦**، في تأسيس عصبة العمل القومي

(١) لم يرسل إلى مجلة المنار تأبين الشيخ الخياط لإدراجه، وكذلك تأبين الشيخ عبد الرحمن سلام

(٢) مجلة المنار، محمد رشيد رضا، ١٥/ ٤٦٦.

ذات الاتجاه العربيِّ، وألقى العديد من الخِطب الوطنيَّة في الجامع العمريِّ الكبير، القائم في قلب مدينة بيروت. وكانت هذه الخطب من التَّأثير في درجة دفعت الشَّيخ عبد الرحمن سلام إلى وصفها بقوله: «أنا أستحثُّ نفسي على أن أكون في مقدِّمة الحضور، لا لأستفيد فقط، بل لأرى أعجوبة الله في العلايلي».

ورأى الشَّابُّ، العائد من الأزهر، إلى وطنه المُسْتَعمَر أنَّ واجبه الأوَّل يتمثَّل في مقاومة المُسْتعمِر الفرنسيِّ الذي كان يستبدُّ بالبلاد باسم «الانتداب»، ورأى أيضاً أنَّ مقاومة الظُّلم والفساد والتخلُّف لا تقلُّ أهميَّة عن مقاومة المحتلِّ، ويبدو أنَّه رأى أنَّهما وجهان لعملة واحدة، فانبرى يكتب سلسلة مقالات أطلق عليها اسم «إنِّي أتَّهم». وقد صدرت سبعة أجزاء من هذه السِّلسلة التي كان مقرَّراً لها أن تصدر في أربعةٍ وعشرين جزءاً[١]. وواصل الشَّيخ عبد الله العلايلي كتابة التَّاريخ، ووضع مخطَّطاً للتَّعريف بمجموعة من علماء بيروت، بغية إنصاف رجالٍ أسهموا في تقدُّم مدينتهم ومن أبرزهم الشَّيخان مصطفى الغلاييني وعبد الرحمن سلام[٢].

- **لقاؤه بشاعر النيل حافظ إبراهيم**: كان المترجم قد بدأ بالتردّد على مقهى الحاج داود الشهير على شاطئ البحر ببيروت، الذي كان يضمّ آنذاك مجموعة من الأدباء والشعراء مع شاعر النيل حافظ إبراهيم الذي كان في بيروت تلبية لدعوة تكريم له. فأحبّ هذا الشاعر المصريّ الاستماع إلى ما عند الذين يُحطن به من منظومات شعرية، وكان من بينهم آنذاك الشيخ عبد الرحمن

(١) الشيخ عبد الله العلايلي الشَّخصيَّة وسيرة تكوُّنها، عبد المجيد زراقط، موقع الطارق.

(٢) الشيخ عبد الله العلايلي الشَّخصيَّة وسيرة تكوُّنها، عبد المجيد زراقط، موقع الطارق.

سلام الذي أدلى أيضاً بدلوه ممّا نظمه من شعره، فأُعجب به حافظ إبراهيم إعجاباً كبيراً حتّى قال لمن حوله: «هذا الشيخ هو الشاعر فيكم»[١].

- كان رحمه الله وبناء على طلب وإلحاح كثير من طلاب العلم قد خصّص يوم الأحد من كل أسبوع لقراءة وشرح كتاب الكامل للمبرّد، وكان يحضر هذه القراءة عدد كبير من طلاب العلم آنذاك منهم الشيخ أحمد العجوز والشيخ محمد الداعوق، والشيخ مختار العلايلي، والشيخ سعدي ياسين، والشيخ محمد الغزال، الذين أصبحوا جميعهم من كبار العلماء الأفاضل[٢].

- عضويّته في المسابقات الشعريّة: في سنة **١٩٠٩** م طلب محمد عبد الله بيهم الذي لقب نفسه بالصارخ المكتوم تشطير أو تخميس قول حافظ إبراهيم:

عليكم حقوق للبلاد أجلّها تعهد روض العلم فالروض مقفر

وخصّص جائزة لأحسن قصيدة قدرها خمس ليرات ذهبية وعهد بالتحكيم إلى عدد من الأدباء والشعراء فحكموا بالجائزة لشاعر بغداد معروف الرصافي.

كما خصّص جائزة لمن يشطر بيتي الحسن بن هانىء بإشراف لجنة تحكيمية كانت مؤلّفة من الشيخ محمد الكستي والشيخ الشاعر عبد الرحمن سلام والشيخ الشاعر محيي الدين الخياط[٣].

---

(١) عالم من بيروت: الشيخ عبد الرحمن سلام: لمحات من حياته وشيء من آثاره، ومعه دفع الأوهام بقلم ابن سلام، جمعها واعتنى بها بهاء الدين سلام، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٣٣.

(٢) عالم من بيروت: الشيخ عبد الرحمن سلام: لمحات من حياته وشيء من آثاره، ومعه دفع الأوهام بقلم ابن سلام، جمعها واعتنى بها بهاء الدين سلام، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٣٣.

(٣) الإبداع كالإفتاء بالمبايعة لا بالتصويت، عبد اللطيف فاخوري، مقالة، وموقع (تريبولي سكوب).

وفاته

لكلّ أجل كتاب؛ ومهما يكن من أمر، فقد حزنت بيروت حزناً شديداً في التاسع والعشرين من حزيران عام ١٩٤١ الموافق للرابع من شعبان عام ١٣٦٠ للهجرة، على فقدانها لعالمها الجليل العلامة الشيخ عبد الرحمن سلام[١]، الذي دفن بمقبرة الباشورة ببيروت[٢].

رحم الله اللغويّ الشاعر الأديب البحّاثة عبد الرحمن سلام، الذي ملأ عصره علمًا وعملاً ومحبّةً للوطن؛ فكان القدوة التي تحتذى، والأمثولة التي تُقتدى[٣].

توفّي عبد الرحمن سلام بعد أن أدّى رسالته على أكمل وجه، فحزنت عليه الأمّة، وفقدت بفقده مشعلًا للعلم والوطنية والحقّ والخير. وشيّعته بيروت بل الأمّة كلّها بأرواحها وعواطفها[٤].

---

(١) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

(٢) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٥٢، الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام)، يوميات بيروتية، موقع يا بيروت.

(٣) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٥٢، عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

(٤) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٥٢.

الباب
الثاني

في
آثاره

مؤلفاته-مقالاته-محاضراته

صفحة بيضاء
رقم 118

مؤلفاته

لم نجد من كتب المترجم المطبوعة في فهارس المكتبات العامّة والوطنية في سورية ولبنان والفهارس الإلكترونية للمكتبات العالميّة سوى كتابين هما «دفع الأوهام بقلم ابن سلام»، و«ديوان النابغة الذبياني»، والظاهر أنّ كتبه كان يُطبع منها أعداد محدودة فلم يُكتب لها الانتشار، حتّى إنّ معجمات فهارس الكتب المطبوعة ضنّت بالتعريف بآثاره.

وقد سلكتُ في ذكر اسم مؤلّفاته ما ذكره مترجموه، فأوردتُ توثيق الكتاب؛ وذلك بذكر من ذكره من المترجمين، وذكر طباعته، وسنتها إن وُجدت، وتوصيفاً للكتاب ومادّته، وهذا ثَبَت بمؤلّفاته، والكتب التي صحّحها، أو علّق عليها:

١- «الأذواء»[(١)]: أفاد الزركلي أنّه مطبوع، وقال: «ردّ شعريّ حول الخلاف بين النصارى والمسلمين»[(٢)].

(١) **توثيقه**: الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، ومصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠، تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩.

(٢) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢.

٢- «الرياضة البدنية»، تأليف سليم سري، ترجمة أحمد عبد الهادي، تصحيح عبد الرحمن سلام، دمشق: وزارة المعارف، ١٩٢٢.

٣- «المتن والمكن»[١].

٤- «النظم المفيد في علم التجويد»، طبع في بيروت، عام ١٣٠٦[٢].

٥- «تعليق على (بدائع الشعر في الحماسة والفخر) »: كتاب يقع في ٢٥٤ صفحة بالقطع الصغير لجامعه بشير أفندي رمضان من مشهوري أدباء بيروت، وهو مجموع القصائد التي وقع عليها اختياره ممّا قيل في الحماسة والفخر من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والمحدثين، وقد علّق عليه الشيخ عبد الرحمن سلام حواشي حلّ بها غريبه وأوضح مبهمه، فجاء كما قيل فيه كتابًا جديرًا بالإقبال عليه من الأدباء، دالًّا على ذوق جامعه في الشعر، وحُسن اختياره للحماسة والفخر، والمرء يُعرف باختياره، كما يُعرف بنظيمه ونثاره، كما قال الشاعر:

قد عرفناك باختيارك إذ كا ن دليلاً على اللبيب اختياره[٣]

٦- «خزانة الفوائد»: وهو ألف فائدة لغوية[٤]، وهناك من سمّاه «خزانة

(١) **توثيقه**: مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠، تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩.

(٢) **توثيقه**: الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، ومصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠

(٣) مجلة المنار، محمد رشيد رضا: موقع المكتبة الشاملة.

(٤) **توثيقه**: الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، ومصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠، تاريخ علماء دمشق، =

الفوائد في الفقه»، أشار الزركلي إلى أنّه من جملة كتبه المطبوعة.

٧- «دفع الأوهام بقلم ابن سلام» (ردّ لغويّ على كتاب لغة الجرائد لإبراهيم اليازجي) وأوهامه اللغوية ١٨٩٩. بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣١٧هجرية= ١٨٩٩م، ٦٤ صحيفة. ردّ على الشيخ إبراهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء لمقالاته فيها، في لغة الجرائد وتغليط بعض مشاهير المؤلفين فيما استعملوه من الألفاظ والتراكيب[١]، وقد انبرى للرد على الشيخ إبراهيم اليازجي جماعة من الكتّاب ممّن نهج اليازجي منهم الأمير شكيب أرسلان في مقالة بعنوان «الضياء وابن سراج»، ورشيد الخرتوني[٢]، وقد فرغ من تأليفه سنة ١٣١٧، طبع في المطبعة الأدبية في بيروت، في ٦٤ صحيفة، في حجم الثمن[٣]، ثمّ طبعه حفيده بهاء الدين سلام ضمن كتابه «عالم من بيروت: الشيخ عبد الرحمن سلام: لمحات من حياته وشيء من آثاره، ومعه دفع الأوهام بقلم ابن سلام»، وصدر في بيروت عن دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٨- «ديوان النابغة الذبياني» (صحّحه وحلّ غريب ألفاظه)، بيروت:

= محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩.

(١) **توثيقه**: الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، عبد الرحمن سلام، تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ - ٨٠٢، مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠، النقد الأدبي الحديث في لبنان، هاشم ياغي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨، فهرس دار الكتب المصريّة، ٧/ ٧.

(٢) النقد الأدبي الحديث في لبنان، هاشم ياغي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨.

(٣) فهرس دار الكتب المصريّة، ٧/ ٧.

المكتبة الأهلية، ١٩٢٩، في ١٢٠ صحيفة[١]. وقد طُبع ديوان النابغة الذبياني[٢] طبعات عدّة:

أ- نشره: ديرنبرج، باريس، ١٨٩٦م، ونشرت تكملته ١٨٩٩م.

ب- طبعة القاهرة، المطبعة الوهبية، ١٩٢٣م.

ج- نشر ضمن مجموعة الأعلم الشنتمري، القاهرة ١٩٢٩م.

د- باعتناء عبد الرحمن سلام، بيروت ١٩٢٩م.

هـ- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م.

و- تحقيق: كرم البستاني، بيروت ١٩٥٣م.

ز - تحقيق: شكري فيصل، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٨م.

٩- «شرح ديوان الرصافي»[٣].

١٠- «غاية الأماني في علم المعاني»: نظماً وشرحاً[٤].

(١) **توثيقه**: مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠، تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩، وفيه: "شرح ديوان النابغة الذبياني".

(٢) **توثيقه**: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، عفيف عبد الرحمن، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧، ص ٨٥

(٣) **توثيقه**: مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠.

(٤) **توثيقه**: مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠، تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩، =

١١- «كتاب الصافي في علمي العروض والقوافي»: نظماً وشرحاً[١].

١٢- «منظومة في الردّ على الأب نقولا غبرييل»[٢]: ردّ الأب نيقولا غبرييل صاحب النشرة الأسبوعية حول كتاب بحث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين[٣]. وهو قصيدة تزيد على ثلاثة آلاف بيت وزن واحد وقافية واحدة[٤]، ولعلّه كتاب «الأذواء» نفسه.

= عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

(١) **توثيقه**: مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠، تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩، عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

(٢) **توثيقه**: تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩، عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢، ومصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠، أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ، عبد الرّحمن سلام، الموسوعة العربية، خير الله الشريف، مادة (عبد الرحمن سلام).

(٣) أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ، عبد الرّحمن سلام، الموسوعة العربية، خير الله الشريف، مادة (عبد الرحمن سلام).

(٤) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩، عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢، ومصادر الدراسة =

ويظهر من هذا الثَّبَت أنّ عنايته بالشعر والبلاغة واللغة هي الغالبة على تصانيفه وأعماله، وحتى تصانيفه الدينيّة كان منها في قالب النظم، فلم تغب روح الشاعر الأديب عنها.

= الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، ج٣/ قسم١، ص ٥٥٠.

مقالاته

سبق أن بيّنّا أنّ المترجم كتب في العديد من الصحف اللبنانية والعربية، كما ذكر مترجموه؛ وأسّس بعض الصحف البيروتية منها:

«روضة المعارف» في العام ١٩٠٨م بالاشتراك مع محمد علي القباني. فكان القباني صاحبها والشيخ سلام رئيس تحريرها، وهي تصدر مرتين في الشهر «علمية، أدبية، فكاهية»[١].

وأسّس جريدة «القلم العريض»، منفرداً[٢]، وصدرت في بيروت بتاريخ ٥/٨/١٩١١م، التي كانت «فكاهية أسبوعية» وسرعان ما أقفلها[٣]، وانتقل

(١) مجلة المقتبس، أصدرها: محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد كُرْد عَلي، العدد ٣٧.

(٢) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، وأصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، جريدة اللواء، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ. ويوسف اسعد داغر: قاموس الصحافة اللبنانية ١٨٥٨-١٩٧٤، ص ٣٦٥.

(٣) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢، وفي تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٤٩: أنّه أسّسها بعد عودته من دمشق سنة ١٣٤٤، وهو وهم.

لأسباب عائلية إلى دمشق[١]، ولاشكّ أنّ هذه الدوريات لا تخلو من كتاباته، حسب تقديرنا، رغم أنّنا بحثنا عنها في المكتبات العامة في سورية ولبنان، ولم نظفر بأيّ عدد منها!

ولم نرَ للشيخ مقالات في مجلات المجامع العلميّة العربيّة، رغم أنّنا بحثنا في عدد من قواعد البيانات الآليّة التي فهرست لأصحاب المقالات، إلا أنّنا وجدنا له بعد البحث والتنقير هذه المقالة عن حقوق المرأة في الإسلام.

قال الشيخ عبد الرحمن سلام رحمه الله[٢]:

«يظنّ بعض الناس، وبالأحرى يعتقد كثير منهم أنّ المرأة خُلقت في الإسلام كحيوان يُتّخذ للقنية ليس له حظّ في المدنيّة العصريّة الحاضرة.

وعندي كما عند العقلاء المطّلعين كافّة أنّ هذا من بعض الظن المبنيّ على الجهل بحقوق المرأة في الإسلام.

فقد أثبتت الشريعة الإسلاميّة مساواة المرأة للرجل في الحقوق، إلّا فيما تساعد عليه الطبيعة.

وبالنظر لكون مسألة المرأة مثّلت دوراً مهمّاً من الأدوار العصريّة فقد عزمت على أن أكتب شيئاً عن حقوقها الممنوحة لها في الإسلام.

(١) عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢، الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة: (عبد الرحمن سلام).

(٢) نُشر هذا المقال في مجلة "الكفاح العربيّ"(لبنان) العدد ٦٥٣ بتاريخ ٤/ ٢/ ١٩٩١م، وذكرها حفيده في كتابه: عالم من بيروت: الشيخ عبد الرحمن سلام: لمحات من حياته وشيء من آثاره، ومعه دفع الأوهام بقلم ابن سلام، جمعها واعتنى بها بهاء الدين سلام، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٦١.

جاء في الكتاب الحكيم: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٥٥/ ١-٤].

قالوا: والبيان بيانان: بيان اللسان وبيان البنان، الذي هو أثر القلم، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٩٦/ ٣-٥].

فالإنسان في الآيتين الشريفتين يشمل الّذكر والأنثى، كما هو كذلك لغة وشرعاً وعرفاً.

أمّا قول الشاعر:

إنسانة فتّانة بدر الدجى منها خجل

فشاذّ.

ولا يعقل أن يمتنّ الله على الإنسان بنعمة ويذكّره بها ويسجّلها عليه في كتابه المجيد منزّلاً إيّاها من السماء بواسطة الملك على أشرف الرّسل ثمّ يحظرها عليه وينهاه عنها.

وبياناً لخطورة القلم وعظم شأنه ومكان أهمّيّته، قال الكتاب الحكيم:

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ٦٨/ ١]، فأقسم بالكتابة، وأعظم آلة لها وهي القلم بل بالدواة، على ما قيل إنّ كلمة (ن) معناها الدواة، ومنها قول الشاعر:

إذا ما الشوق برح بي إليهم ألفت النون بالدمع السجام

ترى هذا القسم حقيقيّاً؟ يعني يمين حلف؟.. كلّا، إذ إنّ القسم الحقيقيّ لا بدّ من أن يكون المقسم به صاحب سلطة غيبيّة وقوّة قاهرة عالية فوق القوة، حتّى يمتنع المقسم من الحنث بما يتصوّر من السلطة والقوة لمن أقسم باسمه، وحتّى يتم تأكيد الخبر بالقسم عند المخاطب، والأمر هاهنا ليس

بذاك. فإذن، ليس هذا القسم حقيقيّاً، وحينئذٍ فما المراد منه يا تُرى؟!.. المراد منه تعظيم القلم وأثره (الكتابة) والتنويه بفخامته والإعلاء من شأنه.

فهل ترى بعد ذلك أنّ القرآن يخصّ بهذا التنبيه الرجل دون المرأة؟!..

كلّا فإنّ التخصيص يحتاج لدليل، والأصل في نعم الله تعالى التعميم، لما نتعلّمه من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٣١/ ٢٠].

فالكتابة والقلم من جملة الأشياء المسخّرة لبني آدم ذكوراً وإناثاً، كما هي من النعم المسبغة على الجميع».

ويتابع الشيخ عبد الرحمن سلام متحدّثاً عن أهميّة دور المرأة في البيت وفي تربية الأبناء فيقول:

«يقولون إنّ المرأة هي أوّل أستاذ للولد في البيت الذي هو أوّل مدرسة له.

فيا عجباً هل من المناسب أن نمنع تلك المعلّمة الأولى من حيلة الكتابة التي يتوقّف عليها كمال تأهّلها للأستاذيّة؟!!

كلّا!! بل يتأكّد أن نكمل المرأة بما يؤهّلها لكمال التعليم، ثمّ نكلّفها بدرس التعليم الابتدائيّ في تلك المدرسة الأولى ساعين لهل بإيجاد الأحداث الذين سيكونون تلاميذ ابتدائيّين تحت نظرها في تلك المدرسة الابتدائيّة.

يقولون: القلم أحد اللسانين!

فلماذا نعطي الرجل القويّ لسانين معاً ونقطع أحد لساني المرأة الضعيفة؟!..

يقولون: الكتابة نصف المشاهدة!

فلماذا نمنح هذا النصف للرجل ونمنع منه المرأة؟!.

فإذا كان للوالدين ابن غائب فالرجل بما مُنِح من الصبر والجلد وقساوة القلب يقدر على عدم هذه المشاهدة النصفيّة، بخلاف المرأة التي هي جسم لطيف عصبي تعتوره الأشواق من أوّل ثانية لآخر لحظة من الفراق، وهي أشفق وأرقّ قلباً وأكثر لوعةً بفلذة ولدها الغائب عنها من كل ذوي رحمه. هذا إذا كان الولد الغائب ذكراً فكيف الحال لو كان أنثى.

فهل يليق بمحاسن الشريعة أن نمنع كلّاً من الأمّ وابنتها من هذه المشاهدة النصفيّة على الأقلّ؟!!

كلّا والله، فإنّ صلة الرحم مرغوب فيها وهي حقّ من الحقوق اللّازمة، ولا يتأتّى أداء هذا الحقّ بسهولة مع المداومة إلّا إذا أحسن كلّ من الشتيتين الكتابة.

وأمّا التعليل الذي قال بعض المتفقّهين فهو من الظن، ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [يونس: ٣٦/١٠]، ومع ذلك، فالمشاهدة والحال الحاضرة تضعف هذه العلّة من أصلها، فإنّنا نجد فساد الأخلاق في النساء غير الكاتبات أكثر منه جدّاً في السيدات الكاتبات منهن.

يقولون: إنّما تتقدّم الأمم بالسيف والقلم.

فالجنديّة أصبحت المرأة محرومة منها، ولكن لم نحرمها مع كونها تستأهلها لا..لا..، لأنّ طبيعتها لا تلائم الخدمة الجنديّة، فما بقي للمرأة من وسام افتخار تخدم به المجتمع الإنسانيّ سوى اليراع، وقد أُبيح لها استخدامه في حوائجها الخاص وفيما يعود على الأمّة والوطن بالتقدّم والترقّي، خلافاً لبعض البسطاء الذين يريدون حرمان السيّدات من ذلك.

ويختم كلامه راداً على بعض المتذاكين:

«كان جرى بيني وبين بعض الأذكياء!! حوار في هذا الموضوع:

فقالوا لي: (إنّكم كرهتم للمرأة أن تتعلّم الكتابة).

فقلت: حاشا لقد دعا الإسلام إلى العكس من ذلك، «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة»[1]، وقال تعالى: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ... عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٩٦/٤-٥]، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٨٢].

ولكن نحن عملنا بوصية بولس فانحطّت درجة السيّدات فينا في هذا الدور الأخير..؟!، وأنتم عملتم تمدّناً بقرآننا والحديث الشريف فنجت سيّداتكم».

(١) كلمة (مسلمة) ليست في أيّ من طرق الحديث، و(مسلم) اسم جنس يشمل كلّ مسلم ومسلمة.

محاضراته

نشط المترجم بين أقرانه في المجمع فشاركهم في إلقاء المحاضرات؛ وممّا له:

١- محاضرة «الشعر وتأثيره في الأخلاق»[(١)]، وقد ورد الإعلان عنها في مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق أنّها ستُلقى في المجمع يوم الخميس في ١٤ تموز ١٩٢١، «للأستاذ الشيخ عبد الرحمن أفندي سلام من أعضاء المجمع الشّرفيين»[(٢)].

٢- محاضرة «الشعراء» أو «الشعر وحرفة الأدب»[(٣)]، وقد ورد الإعلان عنها في مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق أنّها ستُلقى يوم الجمعة في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٢[(٤)].

---

(١) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٥٠، عبد الرحمن سلام، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٦٢ من ص ٧٩٦ -٨٠٢.

(٢) مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، المجلّد الأوّل، ص ٣٩٣.

(٣) تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٣/ ١٥٠.

(٤) مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، المجلّد الثاني، ٢/ ٣٧٥.

وهاتان المحاضرتان لم تُسعفنا المصادر بالعثور على نصَّيهما؛ إذ لم نجد للأسف نصوصهما ضمن المحاضرات المجمعيّة المطبوعة، أو في مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، وكذلك لم نجدهما منشورتين مستقلّاً أو في أيّ دوريّة أخرى بعد البحث عنهما في قواعد البيانات الآليّة.

غير أنّ موضوع المحاضرتَين يُشيرا إلى موضوع مهمّ عند المترجم = وهو احتفاؤه بالشعر خاصّة، وهو مايدّعي إجادته وتبريزه به؛ لذلك فإنّ الأستاذ خير الدين الزركلي عندما قال له يوماً (سنة ١٩١٢) [وهي العام التي قدم بها دمشق]: أين ديوانك يا أستاذ؟

فقال: لم أكتب ديواناً، وإذا أردتُ استطعتُ نظمه في شهر.

فقلت: لا يكون هذا من الشعر»[١].

وهذا دليلٌ على اعتزازه بملَكته الشعريّة، وامتلاكه ناصية الأدب، وشاهدٌ على قلّة عنايته بجمعه ونشره.

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧. ٣/ ٣٠٢.

المصادر والمراجع

الكتب:

١- الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثاً، عفيف عبد الرحمن، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧.

٢- إضبارة الشيخ عبد الرحمن سلام في مجمع اللغة العربية بدمشق.

٣- الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧.

٤- البيروتيين: حكاياتهم، أمثالهم، ووقائع أيامهم، تأليف عبد اللطيف فاخوري، بيروت: مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ٢٠٠٩.

٥- تاريخ الجامعة السورية: البداية والنمو ١٩٠١-١٩٤٦، دمشق: مكتبة نوبل، ٢٠٠٤.

٦- تاريخ علماء دمشق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م.

٧- حاضر اللغة العربية في بلاد الشام، سعيد الأفغاني، .

٨- دمشق: صور من جمالها وعبر من نضالها، علي الطنطاوي، دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٧=١٩٨٧م.

٩- ذكريات علي الطنطاوي، جدة: دار المنارة، ط٢، ١٤٠٩=١٩٨٩م.

١٠- عالم من بيروت: الشيخ عبد الرحمن سلام: لمحات من حياته وشيء من آثاره، ومعه دفع الأوهام بقلم ابن سلام، جمعها واعتنى بها بهاء الدين سلام، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١١- علماء ومفكرون عرفتهم، تأليف محمد المجذوب، الرياض: دار الشواف.

١٢- فهرس دار الكتب المصريّة.

١٣- مؤسسات الدولة الحديثة الاجتماعية والسياسية: النموذج اللبناني على ضوء أحدث التشريعات، ١٩٩٥.

١٤- محمد عبد الله بيهم: الصارخ المكتوم ١٨٤٧-١٩١٥: المدارس ومناهج التعليم في بيروت في القرن التاسع عشر، تأليف عبد اللطيف فاخوري، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر، ٢٠٠٨.

١٥- محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، بحث عبد الرحمن سلام، في مجلة مجمع اللغة العربية.

١٦- مصادر الدراسة الأدبية: الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، تأليف يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢.

١٧- معجم المؤلّفين، عمر رضاكحّالة، بيروت: مؤسّسة الرسالة.

١٨- مكتب عنبر، ظافر القاسمي، بيروت: المطبعة الكاثوليكيّة.

١٩- الموسوعة العربية، دمشق: رئاسة الجمهورية، مادة (عبد الرحمن سلام).

٢٠- النقد الأدبي الحديث في لبنان، هاشم ياغي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨.

٢١- والذكريات حصاد السنين، تأليف محمد سليم جلال الدين، صيدا: د.ن.

الدوريات:

١- أعلام لا تنسى في تاريخ بيروت: الحاج جميل رواس (١٨٨٨ - ١٩٧٦): رجل البر والإحسان والخير والعطاء والمؤسسات البيروتية، مقال حسان حلاق، جريدة اللواء اللبنانية،

٢- تطور النهضة الثقافية في بلاد الشام والمجمع العلمي العربي اللبناني، بحث في مجلة دعوة الحق المغربية، العدد ١٤٩.

٣- جريدة اللواء، أسرة سلام في بيروت: أصالة بيروتية ولبنانية وعربية ومقاصدية ١/ ٣، حسان حلاق، العدد ١٣٦٠٢، ٢٩/ ٩/ ٢٠١٢ م =١٢/ ١١/ ١٤٣٣.

٤- جريدة اللواء، أصول العائلات البيروتية (٧)، شخصيات من آل سلام: أعلام في المناصب الدينية والإعلامية والفنية والمصرفية (٣/ ٣)، حسان حلاق، العدد ١٣٦٠٢ السنة ٥٠، ٢٩ أيلول ٢٠١٢ الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

٥- الحوار، يومية، تصدر في بيروت، العدد٣٨٧، ٢٣/ ٣/ ٢٠١٢.

٦- مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق.

٧- مجلة المنار، محمد رشيد رضا.

٨- مجلة النادي العربي للمعلومات، بحث المجمع العلميّ اللبنانيّ ١٩٢٧- ١٩٣٠، هلال مصطفى الناتوت، العدد٤ سنة ٢٠٠١.

٩- نهضة علم وعلماء واسعة عرفتها بيروت في العهد العثماني معاهد وجامعات وتفاعل الكثر من علماء المسلمين والنصارى، مقال حسان حلاق، الحوار: يومية سياسية: آذار، ٢٠١٢.

المواقع الإلكترونية:

١- منتدى كل السلفيين

٢- موقع أدباء الشام

٣- موقع أعضاء وأصدقاء النادي العربي

٤- موقع المكتبة الشاملة

٥- موقع جريدة السفير

٦- موقع جريدة اللواء

٧- موقع دمشق

٨- موقع قناة الفيحاء

٩- موقع ليبيا المستقبل

١٠- موقع وزارة الإعلام اللبنانية

١١- موقع يابيروت

١٢- ويكيبيديا

إياد خالد الطباع

باحث في مجال التراث العربي والمخطوطات (كوديكولوجيا وباليوغرافيا).

مواليد : دمشق١٣٨٤/ ١٩٦٢م

■ **التعليم:**

- إجازة في الاقتصاد من جامعة دمشق - اختصاص محاسبة، ١٩٨٧
- دراسات عليا في الدراسات العربية والإسلامية - جامعة طرابلس
- دورات وبحوث ودراسات في المخطوطات في عدد من البلدان وخزائن المخطوطات في العالم.

■ **الأعمال والوظائف:**

- خبير المخطوطات وإحياء ونشر التراث العربي في وزارة الثقافة السورية ٢٠٠٣- حتى الآن
- عضو شعبة البحث العلمي، معهد الشام العالي للدراسات والبحوث الإسلامية والعربية، فرع مجمّع الفتح الإسلامي ٢٠٠٠.
- رئيس قسم التزويد وخبير مخطوطات في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ١٩٩١-٢٠٠٠ .
- مدير مسائي في مكتبة الأسد الوطنية ١٩٨٩-١٩٩٠.
- رئيس قسم التحقيق والدراسات وفهرسة المخطوطات في مكتبة الأسد الوطنية ١٩٩٠.
- رئيس قسم الإعارة في مكتبة الأسد ١٩٨٤-١٩٨٨.
- عضو هيئة تحرير مجلة آفاق الثقافة والتراث بدبي سابقاً.

■ **المؤلفات والبحوث والتحقيقات**

- له اثنا عشر كتاباً مؤلّفاً، منها عشرة كتب مطبوعة واثنان تحت الطبع ، وإحدى وعشرون كتاباً محقّقاً.
- كتب في عدد من الدوريات العربية والأوربية .
- شارك وحاضر في عدد من المؤتمرات والندوات والدورات التدريبيّة ببحوث في سورية والأردن ولبنان والإمارات ومصر وهولندة.
- التوصيف الببليوغرافي لكتب "إياد خالد الطبّاع" متوافر على موقع الفهرس الدولي للكتاب: WWW.WORLDCAT.ORG

■ **الآثار المنشورة**

■ **التأليف :**

١- منهج تحقيق المخطوطات، دارالفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر ببيروت .

٢- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي : معلمة العلوم الإسلامية (سلسلة أعلام المسلمين)، دار القلم بدمشق.

٣- الإمام الترمذي: الحافظ الناقد، فقيه السلف، وجامع السنن (سلسلة أعلام المسلمين)، دار القلم بدمشق .

٤- عبد الغني الدقر: النحوي الفقيه والمؤرّخ الأديب (سلسلة علماء ومفكرون معاصرون)، دار القلم بدمشق .

٥- محمد الطاهر بن عاشور: علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه (سلسلة علماء ومفكرون معاصرون)، دار القلم بدمشق .

٦- النتاج الفكري للكتاب العربي المطبوع منذ نشأة الطباعة حتى نهاية القرن التاسع عشر: دراسة ببليومترية، دارالفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر ببيروت.

٧- محمد كرد علي: المؤرّخ البحّاثة والصّحافي الأديب : (سلسلة علماء ومفكرون معاصرون)، دار القلم بدمشق .

٨- الوجيز في منهج البحث والتأليف، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية، .

٩- المخطوط العربي: دراسة في أبعاد الزمان والمكان، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية، .

١٠- المخطوطات الدمشقية : المخطوط العربي منذ النشأة حتى انتشاره في بلاد الشام: دراسة ومعجم، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية، .

١١- منهج البحث والتأليف: مدخل عام .(تحت الطبع).

١٢- صناعة المخطوط العربي، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية، (تحت الطبع) .

■ **التحقيق:**

١- عمدة الكتّاب وعدّة ذوي الألباب (في صناعة الأمدّة والأحبار والتسفير) ، المنسوب للمعز بن باديس، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية.

٢- الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، دمشق : دار البشائر، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

٣- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، لجلال الدين السيوطي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٤- شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشيّة النبطي، دارالفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر ببيروت.

■ **سلسلة مؤلّفات سلطان العلماء الإمام العزّ بن عبد السلام:**

صدرت عن دارالفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر ببيروت؛ وقد صدر منها :

١- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال.

٢- معنى الإيمان والإسلام أو الفرق بين الإيمان والإسلام

٣- رسائل في التوحيد، تتضمّن أربع رسائل:

١- الملحة في اعتقاد أهل الحق

٢- الأنواع في التوحيد

٣- الردّ على الحشوية والمبتدعة

٤- وصية ابن عبد السلام

٤- مقاصد الصلاة

٥- مقاصد الصوم

٦- مناسك الحج

٧- ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام

٨- بداية السول في تفضيل الرسول

٩- الفتن والبلايا والمحن والرزايا أو فوائد البلوى والمحن

١٠- بيان أحوال الناس يوم القيامة وذكر الخاسرين والرابحين منهم

١١- الفوائد في اختصار المقاصد أو القواعد الصغرى

١٢- مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجلّ، أو مختصر رعاية المحاسبي

١٣- أحكام الجهاد وفضائله

١٤- رسالة في ذم صلاة الرغائب

١٥- الفتاوى الموصلية

١٦- الفتاوى المصرية

١٧- الغاية في اختصار النهاية ٥ مجلدات (تحت الطبع)